

بإذن
الشيخ
الحافظ

al-Nādi, 'Alī Hasan

المعجم الحديث

al-Manhaj al-Hadith

في الأدب العربي

وفق آخر منهج أقرته وزارة المعارف

للسنة الخامسة

١٩٣٧

الرقم ٢٥
مبلى

نايف

طبعة مختصرة

مجلد الثاني

المتخرج في دار العلوم
والمدرس بالمدارس الثانوية

المفتش
بوزارة المعارف (سابقاً)

حقوق الطبع والنقل محفوظة للمؤلفين
يطلب هذا الكتاب من ملتزمة طبعه ونشره مكتبة مصر بشارع الفجالة

مطبعة حجازي بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الذي أدبه فأحسن تأديبه وبعد

فهذه مجالته تناولنا فيها منهج السنة الخامسة في الأدب العربي هذا للعام ، وجعلناها قصدا بين الإيجاز والأطناب ، حتى لا يضيق بها فراغ الطالب ولا تنبو معها الفائدة المنشودة ، بيد أننا توخينا الجدة والطرافة فيما اصطفيناه من مختارات — والسهولة والإيضاح فيما درسناه من موضوعات ولكتابنا هذا ميزات وفضائل أخر ، ما نخالنا سنعدم عند اخواننا المدرسين وأبنائنا الطلبة جزاءنا عليها من تشجيع وإقبال ، هما حسينا وكفى ؟

المؤلفان

شعبان سنة ١٣٥٥ هـ

نوفمبر سنة ١٩٣٦ م

2258
6717655

منهج السنة الخامسة سنة ١٩٣٦ - سنة ١٩٣٧ م (نظام قديم)

وفقاً لمنشور وزارة المعارف الذي صدر بتاريخ ٢٧ / ٧ سنة ١٩٣٦

لمحة في الحياة الإسلامية من الوجهة السياسية
نشوء الأوطان المستقلة .

حالة الأدب بإيجاز في العراق وفارس وخراسان وفي مصر والشام
الشعر . استفادته من الجهود العلمية والأدبية التي بذلت في العصر
العباسي الأول .

الأغراض الجديدة ، تأثره بالصناعة اللفظية

(١) في العراق وفارس وخراسان : —

ترجمة للشريف الرضي — وأمثلة في شعره
أمثلة من شعر مهيار الديلمي . والسري الرفاء . وأبي الفتح البستي

(ب) في مصر والشام : — ، ترجمة للمتنبى وأمثلة من شعره .
أمثلة من شعر تميم بن المعز . وأبي العلاء المعري . وابن الفارض
وبهاء الدين زهير .

الكتابة : طريقة ابن العميد في الشرق

القاضي الفاضل في مصر ، تأثر الكتاب بهما
صور من إنشاء ابن المميد - والقاضي الفاضل والعماد الاصبهاني

المقامات : مثال من مقامات البديع الحمزاني .

» » » الحريري

التأليف : ارتقاء التأليف في هذا العصر وأسبابه

إشارة إلى كثرة المؤلفات وأهم العلوم التي تناولها التأليف

العصر العباسي الثاني

لمحة في الحياة الاسلامية، من الوجهة السياسية

محمد زهير

أجمع المؤرخون، على أن عصر الدولة العباسية، هو عصر الإسلام الذهبي فقد بلغ فيه المسلمون من تمام القوة، وتوطيد الملك، وسعة السلطان، ورفاعة العيش، ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد

وهم يقسمون هذا العصر قسمين :

العصر الأول أو عصر النهوض ويمتد من قيام الدولة العباسية سنة

١٣٣ إلى سنة ٣٣٤ هـ

العصر الثاني ويسمونه عصر الذبول ويمتد من سنة ٣٣٤ إلى سقوط

الدولة العباسية سنة ٦٥٦

فأما العصر الأول فقد انتشرت فيه الفتوح وأصبح ملك المسلمين يمتد من الصين إلى جبل طارق، واستتب الأمن، وعمّ الرخاء، ونفقت التجارة واستبحر العمران، وقضى الخليفةان الأولان على الفتن والثورات فصفاء الجو لمن بعدهما من الخلفاء، وانصرفوا إلى تأثيل الملك وتنظيم موارد الدولة. ومصادرها، فامتلات خزائهم بالمال، ودانت لهم الممالك، ودرت عليهم أخلاف الرزق، فانغمسوا في الترف، وأسرفوا في الاستمتاع بالملاذ.

ونقلوا عن الأمم العريقة في مجدها أحسن ما تميزت به : في فن البناء ، وطرق التجارة ، وسياسة الشعوب ، وتوفر لهم ما توفر لأعظم ملوك العصر الحاضر من رفعة الملك ، وحسن الحال ، ونعيم البال — وكانت حاضرتهم بغداد معرض نبوغهم ومُنْتَحَف عبقريتهم واقتنائهم

واذا كانت اللغة مرآة أهلها فقد انعكست عليها حضارة القوم ، وتجلي في صفحاتها نهوضهم ومبلغ رقيهم — وأخذت من سلطانهم ومكاثمتهم بين دول الأرض ، مكائهم اللاتق بها بين اللغات : فقد استُخدمت في السياسة ، وأصول الحضارة ، ومقاصد الصناعة ، وترجم إليها كثير من علوم الأمم القديمة ، ودُوِّن بها ما وُضع من العلوم التي استدعاها العصر ولم تكن من قبل ، وتناولها التحسين والتهذيب من جميع نواحيها ، فهُجِر الحوشى من الألفاظ ، وابتذل السفساف من المعانى ، وجنح القوم إلى التألق في نسج العبارات ، وصوغ الأساليب وأبدعوا في الإيجاز والأطناب — وهكذا تقرأ أشعارهم فترى فيها رقة أذواقهم ، وصفاء نفوسهم ، ولين طباعهم ، ومقدار استفادتهم من مدنيات الدول المعاصرة ولغاتها ، وتلبس فيها الى جانب الجزالة العربية ، الخيال الفارسي ، والفلسفة اليونانية ، والحكمة الهندية .

العصر الثانى

وأما العصر الثانى فقد تغيرت فيه الحال عن ذى قبل ، وأصبح من أبين ميزاته : ظهور سلطة الأعاجم وتقديعهم على العرب — وأول من وقع في هذا الخطأ من الخلفاء : أبو إسحاق المعتصم حين قلت ثقته بالعرب عضده وساعده فأقصاهم عن المناصب الرفيعة في الدولة ، واستبدل بالجند منهم جيشاً من أرقاء الترك : يستظهر بهم في زعمه على العرب المناوئين له . وعلى

الفرس الذين قامت الدولة على سيوفهم ، ولم يمض غير قليل من الزمن ، حتى استبد هؤلاء الاتراك على جهلهم وسفهمهم بشئون الدولة ، وأصبح اليهم الأمر والنهي فيها فملئوا المناصب العالية بأنصارهم وامتد سلطانهم الى أبعد من ذلك فاستطالوا على الخلفاء وصاروا يجسرونهم في قصورهم ويولّون من يشاءون من صبيانهم المستضعفين ، ويضربونهم ويعزلونهم فسقطت هيبة الخلفاء من الأعين . وزالت مكانتهم من النفوس . وكثر الشغب . وعمت الفوضى . واستطارت الفتنة الى الأقاليم ، وعجز المسيطرون من الاتراك اذ ذاك عن إخماد هذه الثورات التي أشعلوها بأعمالهم ، وسوء تصرفهم -

كل هذه الاحداث والحزن ، كان لها في اللغة نثرها ونظمها ، أثر أي أثر خففت ، من علوانها ، وونت بعد نشاطها ، وتريث أديها وتمكث ، بعد نهوضه وتوثبه

نشوء الاوطان المستقلة

كان من نتائج ضعف الخلفاء العباسيين آخر أمرهم

١ — أن رأى بعض ولاة الاقاليم التابعين لهم في ذلك العهد ، أنهم ليسوا دون أتراك القصر الخلفي قوة وسلطانا ، ولا أقل منهم عددا وعددا ، حتى يخضعوا لأوامرهم الصادرة باسم الخليفة المستضعف ، فاستبد كل منهم بولايته . وأعلن استقلاله بها

ب — كذلك رأى زعماء الفرس وسلائل الاكاسرة ، الذين عاشوا يتربصون الدوائر بالدول العربية ، ويتعجلون لها الفناء ، أن الفرص قد سنحت لاسترجاع مجدهم المسلوب ، واستخلاص ملكهم المغضوب ، من أيدي العرب

المستضعفين . والاتراك المعتدين ، فدعوا لأنفسهم ، وأسَّسوا بأسمائهم دُوليات وأمارات - ولم تقف أطماعهم عند ذلك بل ، زحفوا على بغداد حاضرة العباسيين ، فانتزعوا السلطة من أيدي الاتراك ، وحجروا على الخلفاء وكشفوا أيديهم عن شؤون الدولة

ح - وقد قام رؤساء القبائل العربية النازلين على الفرات والجزيرة وشرقي الشام بنصيبهم من الثورة واستبدَّ كلٌّ بجهته

و - وهبَّ العلويُّون الذين مالَبشوا يطالبون بالخلافة منذ زمن يزيد بن معاوية : يؤسسون لهم دُوليات بالحجاز واليمن حتى أنشأ الفاطميون وهم مُشعبة ، منهم دولة طويلة العمر ، ثابتة الملك ، واسعة السلطان بمصر والشام ه - وساعدت هذه الظروف أمراء بني أمية بالأندلس ، فكوّنوا دولتهم ورأوا أنفسهم أحقَّ بالخلافة من الخلفاء العباسيين لذلك العهد ، فتلقبوا بألقابهم وتبعهم في ذلك من جاء بعدهم من الملوك ولولم يمتنوا لقريش ولا إلى العرب بصلة . وهكذا تشعبت الدولة العباسية وتجزأت إلى دويلات صغيرة كان من أشهرها

- (١) الدولة البويهية في العراق وفارس
 - (٢) الدولة السامانية في خراسان وتركستان
 - (٣) الدولة الغزنوية في أفغانستان والهند
 - (٤) الدولة الحمدانية في حلب والموصل
 - (٥) الدولة الأموية في الأندلس
 - (٦) الدولة الاخشيدية ثم الفاطمية بمصر
- وهذه الدول على تباين مواطنها ، واختلاف نصيبها من البقاء - كان بعضها لا يعترف بوجود الخلافة العباسية ، وبعضها يعترف اعترافاً اسمياً لأثره إلا على المنابر أو عند تولية الملوك .

حالة الادب بايجاز

في العراق - وفارس وخراسان - ومصر والشام :

هذه الدويلات التي انفصلت من جسم الدولة العباسية ، وتنافست في الاستقلال وسعة السلطان ، وتميّز بعضها عن بعض : في الجنس والوطن قد اتفقت جميعها على اتخاذ العربية الفصحى لغة رسمية في القضاء والتعليم والسياسة والعبادة وذلك

١ - لبسط سلطانها على بلاد عربية

٢ - ولاستيلاء أكثرها على مقر الخلافة

٣ - ولأنها لغة القرآن الذي يؤمنون به ويتعبدون بنصوصه

وقد تبارى ملوك هذه الدول في معاضدة النهضة العلمية وشد أزر التعليم والعلماء ، فاصطبغت لذلك الآداب العربية ، بصبغة موضوعية واختلفت ألوانها باختلاف أوطانها ، وان اتحدت جميعها في الذوق العربي وطريقة التفاهم والآداء.

ذلك الاختلاف الموضوعي الذي طرأ على الأدب في أوطانه الجديدة هو الذي سنجمله لك فيما يلي :

١ - العراق : أقام فيه بنو بويه ملكهم بعد استقلالهم ، وانتشروا فيما جاوره من البلدان وكثيب لدولتهم البقاء ، فعاشت أكثر من قرنين تنافس خلالها ملوكها في نشر العلم وتشجيع أهله محاكاة للخلافة العباسية في عصرها

الزاهر — وكانوا لا يستوزرون ولا يستكتبون إلا الشعراء والكتاب —
وكان عضد الدولة أحدملوها ينظم الشعر ولا يخلو مجلسه من العلماء والأدباء
وكذلك كان عز الدولة ونتاج الدولة من بعده - قسابق الشعراء في الخطوة
لديهم وأسرفوا في مديحهم وإطرائهم

وأشهر وزراء هذه الدولة : **ابن العمير** والصاحب ابن عباد، وكلاهما من
خول الكتاب في القرن الرابع وقد انتشرت في عصرهم الآراء الفلسفية
والاجتماعية من الكتب التي ترجمت، وامتلاً أدبهم بكثير من المعاني الجديدة
يبدأن الفتن والحروب عجلت البؤس لهذه الدولة ، فنضبت القرائح وأجذبت
العقول .

ب — **فارسي وخراساني** : أقامت الدولة السامانية ملكها في خراسان وكان
ملوكها من سلالة الأكاسرة، وقد تولى الملك منهم عشرة ملوك عرفوا جميعهم
بحب العلم والعطف على أهله ، فكانت مجالسهم منتدى العلماء والأدباء ، كما كانت
عاصمتهم بخارى نجمة الرائدین ، وكعبة القاصدين ، ولعل من أشهر هؤلاء الملوك
المنصور بن نوح - ثم ابنه نوح بن منصور، الذي اقترح على الشعراء نظم الشاهنامه
المعروفة (بالالياذة) — والذي سمع بفضل الصاحب بن عباد ، وسعة علمه
وأدبه ، فاستدعاه سرّاً ليستوزره

ومع عطف ملوك هذه الدولة على مجدهم الغابر ، وحنينهم إلى لغتهم القديمة
ومع ماشاع في عصرهم ، من الثقافة الفارسية ، وما ترجم عن العربية من الشعر
والأمثال ، فإن الصبغة العربية ما برحت غالبة على الأدب ، والذوق العربي ما زال
متمكناً من نفوس شعرائهم ، وكتابهم حتى زالت دولتهم من الوجود
وأشعارهم تتميز بامتلائها بالأمثال الرائعة ، والحكم البالغة ، والأوصاف

المُسَهِّبَة ولهم شغفٌ بالمحسنات البديعية ، والمجازات والتشبيهات والمبالغة
في الذم والمدح والشكوى ، مما جعل أشعارهم كالنثر في إبداع الصناعة ،
والافتنان في الصياغة

(٦) مصر والشام : - من أشهر الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية
إبان ضعفها وأطولها عمرا الدولة الفاطمية وقد اتخذت مصر مقراً لها وكانت
الآداب العربية قبلهم في دولة الأخشيدي : مستضعفة قليلة الحول والطول
والشعراء لا يجحدون للقول مجالا ، ولا يظفرون من ملوكهم بالأذن الصاغية
ولا بالدوق العربي الذي يقدّر الشعر ويحيز عليه - فلما استقر بالفاطميين
المقام في مصر - عملوا على نشر العلم ، وأكثروا من المدارس والمكاتب ، وأجازوا
الغلاء والشعراء ، فسالت القرائح بعد نضوبها ، وأثمرت الأفكار بعد عقمها
وأخذ النثر نصيبه من هذه النهضة فتشعرت أساليبه ، ودونت به كثير من
العلوم ، وإن لم يخلص من الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية - ولعل من أخلد
آثارهم بمصر الجامع الأزهر الذي بناه المعز لدين الله الفاطمي ، سنة ٥٣٥ هـ
وأنت حفيّ عماله من أثر في نهضتنا الحاضرة

كذلك كان بنو مهران في الشام ينافسون ملوك مصر في موازنة العلم
ونشر الثقافة العربية وأشهر هؤلاء الملوك : سيف الدولة بن حمدان - الذي عاش
المتنبى في رحابه ، والذي كان يجمع الشعراء في مجلسه ، فينقد أشعارهم ، ويحيز
السابقين منهم ، وله أخبار طريفة مع النعمان والرقاء ، والبيضاء ، وغيرهم من
خول الشعراء ، يُرجع إليها في مطولات الكتب

وقد اشتهر من آل حمدان ، كثير من الشعراء ، في مقدمتهم ، أبو فراس -

ثم أبو زهير وأبو وائل الحمداني

الشعر

اسفادته من الجهود العلمية التي بذلت في القصر العباسي الأول

عرفت أن بغداد كانت في العصر العباسي الأول مركز الثقافة في الشرق يقصدها العلماء والأدباء، ويحجّ إليها الكتاب والشعراء ليعرضوا مواهبهم - وينشروا علومهم وفنونهم، ثم ينقلب فريق منهم إلى أهله مسروراء، ويبقى أكثرهم في بغداد، يتقارضون الشعر، ويتحاضرون ويتناظرون، وعطايا الخلفاء جارية عليهم، ونعم الأمراء والوزراء تغمرهم بغير حساب، وقد طاب لهم المقام وتقيّدوا بقيود الاحسان، ومن وجد الاحسان قيداً تقبّداً :

وهذا المجهود العلمي الذي تعاون فيه الخلفاء بأموالهم، والعلماء بنتائجهم كان له أثر أيّ أثر في رقي الشعر ونهوضه - وكانت شهرة الشاعر ورفعة شأنه موقوفة على قدومه إلى بغداد، موطن النقد والمدارسة والرواية، موطن التقدير والجزاء والبذل والعطاء - والبائس المحروم من الشعراء من قعد به الجسد ولم تسعده الأيام بزيارتها، ولعلّ هذا هو السرّ في أنك لا تكاد تسمع خلال هذا العصر بشاعر من الشعراء الذين نشأوا في أطراف الدولة على كثرتهم وجودة أشعارهم

ولا يزال الأدب العربي زاخراً بأخبار هذه المجالس الشعرية، والمحافل الأدبية، مُشيداً بها في شيء من المبالغة والإغراق

أضف إلى ذلك شغف المنصور والرشد والمأمون بالترجمة والتأليف

والتدوين والتصنيف، وإكثارهم منها كان له أثر آخر، في إنهاض الشعر، لم يتم نضجه، ولم يكتمل هضمه إلا في هذا العصر الذي نحن بصددده، فظهر الشعر ممزوجاً بالفلسفة والمنطق والحكمة، وتجلت آثار هذه الثقافات القديمة والعلوم المنقولة في معانيه وأساليبه، وظهر في ثوب قشيب يتجلى فيه جمال الصناعة وروعة الحضارة -

وإذا كانت الدولة العباسية قد انقسمت آخر أمرها إلى إمارات ودول على ما عرفت، فإن الشعر قد استفاد من هذا الانقسام، وأصبح مظهراً من مظاهر العظمة ونوعاً من ترف الملك ونعيمه - لهذا تنافس الملوك في تشجيعه ورفع شأنه، وتعدد الشعراء، وكثرت مدائحهم، وطالت قصائدهم، وتنوعت أساليبهم

الاعراض الجديدة في الشعر

١ - الحكمة والفلسفة

كان من نتائج نقل علوم الأوائل وترجمة كتب الأمم القديمة كالفرس والهند واليونان إلى العربية: أن ارتدى الشعر برداء الفلسفة وانتحى ناحية الحكمة وجنح إلى الاقتباس وضرب الأمثال. وكان شعراء العصر الأول يرسلون الكلام على الفطرة فتجىء فيه مثل هذه الحكم والأمثال دون قصد أما في العصر الثاني فقد تغلغلت هذه المعاني في الشعر، وأصبحت تُبنى عليها القصائد والمقطوعات وأول ما ظهر ذلك في شعر ابن الرومي في العصر الأول ثم تجلى بعده في شعر المتنبى الذي يقول:

ذو العقل يَشَقَى في النَّعِيم بعقله وأخو الجَهالة في الشَّقَاوة يَنعَم
والظلم من شِيم النفوس فإن تجرّد ذا عَفّةٍ فليَعْلَلْ لا يظلم

٢- التصوف

كذلك دخلت في الشعر كثير من المعاني الفقهية، لظهور التصوف في هذا العصر وشيوعه، وانتشار الزهد وذيوعه، حتى لقد توفر كثير من الشعراء على النظم فيها كابن الفارض والقشيري ومن أمثلة ذلك قول المعري

تعبتُ كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد
خُلِقَ الناس للبقاء فضلتُ أمةً يحسبونهم للنفساد

إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد

٣- أسرفوا في المبالغة حتى خرجوا بها عن الممكنات، فسمعنا المتنبي يقول في وصف نفسه بالضَّعف

كفى بجسمي نحولاً أنتي رجلٌ لولا محادثتي إياك لم تری
وحتي جاوزوا بها ولا سيما في المديح، حدود العقل والدين، فقال من بعده
ابن هاني الأندلسي في مدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئتُ لا ما شاءتْ الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ
ولا ريب في أن مثل هذا الاسراف قد أفقدها ما كان ينتظر لها من
جمال، وصيرها عيباً من العيوب

٤- كذلك توسعوا في بعض الأغراض الاجتماعية حتى صيروها أبواباً مستقلة
كالغفريات، والمماورات والمعارضات والمراعات وشكوى الزمان
فقال شاعرهم :

يا دهرُ ما أقساک يادهرُ لم يحظَ فيك بطائل حرٍّ
أما اللئام فأنت صاحبهم ولهم لديك العطف والنصر

تأثر الشعر بالصناعة اللفظية

في العراق وفارس وخراسان

لبثت بغداد موطن جهود العلماء ، وجمع إنتاج الشعراء والادباء ، حتى ضعف الخلفاء ، فهجرها كثير من الشعراء والادباء إلى فارس والعراق وخراسان منها جبر النهمضة الجديد ، حيث تقيم الدولة الفتيّة ، وحيث تنفّس سوق الشعر ، ويلتقي رشواده ، ومنشدوه — وإذ كانوا في وطن له مجد عريق ، وحضارة تليدة وثقافة واسعة — وكان ملوك هذه الدول تواقين إلى بعث هذا المجد ، وإحياء تلك الثقافة — لم يكن عجباً أن يتأثر الشعر العربي في هذه البلاد بتلك الأمور السالفة جميعها . فتظهر فيه كثير من المعاني الجديدة ، والخيال الفارسي ، وتنشرف فيه الاصطلاحات العلمية : من فقه ، وطب ، وفلسفة ورياضة ، وقد شابت لذلك أساليبه كثير من الأشكال المنطقية ، وضروب الجدل ، وزادت العناية بالمعاني وامتزج بكثير من حكم الفرس وأمثالهم التي ترجمت قبيل ذلك العهد

وإذا كان شعراء العصر الأول لا يعمدون إلى المحسنات البديعية إلا عند التّظرف والمفاكة وكان لكل منهم من جزالة البادية ، ومن الذوق العربي الخالص ، أساسه مذخور ، وحظ موفور ، يحولان بينه وبين الاسفاف والابتذال ، فإن شعراء هذا العصر قد أسرفوا في استعمال هذه المحسنات وغالوا فيها حتى صارت صناعة رانجة يُقرّن بها السبق والفوز ، ويتفاضل بالشعراء بمقدار نصيبهم منها .

بيد أن هذه الصناعة على ذبوعها وتغلغلها في أشعارهم ، لم تفسد أذواقهم ولم
تطغ على قرائحهم طغيانها في مصر والشام - ولا يزال أكثر شعراء هذه البلاد
ينسب إليهم كثير من الشعر الرائع الرصين في معناه ، الجميل العذب في مبنائه
كالسرى الرفاء - ومهيار الديلمي - والشريف الرضى - وأبى الفتح البستي
الذى إمتلأ شعره بالمحسنات ، ولا تقع العين فيه على - عيب ومن أمثلة
ذلك قوله :

زيادةُ المرءِ في دنياهُ نقصانٌ وربُّه غيرُ مُحضٍ الخيرِ خسرانٌ
أحسنُ إلى النَّاسِ تستعبدُ قلوبهم فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانه



الشریف الرضی

هو الشاعر القرشي ، أبو الحسن بن الطاهر ، ينتهي نسبه الى الحسين بن علي ابن أبي طالب ، فهو أشرف الشعراء نسبا ، وأكرمهم نجارا

١ - نشأته وثقافته

ولد الشریف الرضی ببغداد سنة ٣٥٩ ونشأ في ذلك العصر ، الذي كانت تتنافس فيه الدول الخارجة على الخلافة العباسية ، في نشر العلم والأدب ، وتتسابق في استقدام الشعراء ، وإكرامهم - وقد فضّلت العلوم واكتملت بموها ، فقرأ كثيراً من كتب الأقدمين ، ووجه عنايته إلى علوم الدين ، وأكبّ على اللغة العربية فحذق فنونها ، واستجمع شواردها وبدأ على حداثة سنّته ، يؤلف الكتب في الأدب والدين والتاريخ - وأغرم بآثار جدّه الإمام عليّ . فجمع كل ما نسب إليه ، من خطب ورسائل ، وحكم ونصائح في مجلد كبير هو المعروف (بنهج البلاغة) - والذي يزعم بعض المؤرخين للأدب أن أكثره من وضعه هو لشدة ، تمكنه من اللغة ، وبلوغه الغاية في البلاغة - وكان لشغفه بالقراءة ، واشتغاله بالأدب العربية أثرٌ في إرهاف حسّه ، وترقيق وجدانه ، فنظم الشعر قويا رائعا وهو في الخامسة عشرة من سنه

وقد كان أبوه يتولى نقابة (١) الاشراف الطالبيين ، وفي سنة ٣٣٨ عهد

(١) نقيب القوم : عريفهم وكافلهم ومسموع الكلمة فيهم

إليه بها أبوه فاتخذ (سُرّ من رأى) مقاماً، وبدأ يشتغل بالعلم والأدب ،
والتأليف والتصنيف ، حتى صار من كبار الشعراء ، وفاق معاصريه من
الكتاب والادباء - ولا يعرف تاريخ الأدب شاعراً قرشياً غيره . أكثر في
إجادة ، وأطال في إحسان -

ب - أخلاقه وصفاته

كان الشريف الرضى يستشعر ما يتميز به من
رفعة النسب ، وشرف المحدث وعلو المنزلة - فكان دائماً أبى النفس ،
عفاً ورعاً ، متقشفاً زاهداً في الدنيا ، كثير العطف على أهله ، رفيع المكانة
بين الناس مهيئاً في عيونهم - وستره في شعره يتمدح بنفسه ، ويتحدث
بكرم أخلاقه ، ويفخر بشرفه وسمو منزلته

— شعره —

أكثر عناية الرضى بالمعاني الرصينة ، فهو يَنشُدُها ،
ويَجْتَهِدُ في الحصول عليها جهد الغواص الماهر ، على اليتيم من دُرّهِ وليس من
طبعه تصيّد الخيال الشادر ، ولا إعمال الفكر في تخيير الالفاظ ، متى استوت أمامه
الفكرة وحضرته المعاني - ويكاد يكون شعره مرآة لنفسه التي هذبها التجارب
وأفعمتها الأيام بالحكم والعظات ، ترى فيه إباءه وعزة نفسه واضحة جالية
كما ترى فيه صلاحه وحبه للفضيلة ، وميله الى الأخلاق الحميدة ، وقد امتزج
شعره بكثير من الفلسفة ، واشتمل على ضروب من التصوير النفسى ونقد
الاجتماع وشكوى الزّمان ، والنهكم بالدنيا وطالبيها ، وله مطولات مُمتعة
حافلة بالنظرات العميقة: في أسرار الحياة ، وحقائق الكون ، وشرح خفايا
النفس ، وتصوير طباع الناس وأخلاقهم - وقل أن تخلو قصائده من أنفة
وإباء ، يمان عمالاً يقصده من عجب وخيلاء

ولقد يجمع به هذا التعمق وذلك التغلغل في بواطن الأمور الى البعد
عن روح الشعر ، وما يتطلب من خيال بديع أو أسلوب رائع -

وأكثر الأغراض التي نظم فيها وأجاد : هي الفخر - والمديح - والثناء -
والحكم - والشكوى - وقد يكون أقلها العتاب - والرهاءة - والفضل والنسب
وإننا إذا كرون لك فيما يلي مثالا لكل غرض من هذه الأغراض : -

١ - الفخر : كان له من كرم أصله وشرف نسبه ما ساعده على بث
هذا الغرض في شعره . ولعلنا افتخر بغير الحق ، أو ادعى ما ليس
فيه - ومن أمثال ذلك قوله يفخر بأبائه وأجداده

غَنَاءُ ظَبَانَا عَوِيلُ النِّسَاءِ وَقَرَعُ قَنَانَا لَطَامُ اللَّمَمِ
أليس أبوبا أعزّ الوري جنابا واكرم خالا وعم
أسرة كفيه عمر الزمان جداول ماء الردى والكرم
خاما تفيض بغير النوال على المعتفين وإما بدم
وقوله يفتخر بكرم أخلاقه وعلو نفسه

لئن تك سنى ما تطاول باعها فلي من وراء المجد قلب مدرب
وللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتي الى الحلم أقرب
فلا أعرف الفحشاء إلا بوصفها ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
ولست براض أن تمس عزائمي فضلات ما يعطى الزمان ويسلب
غرائب آداب حبابي بحفظها زمانى وصرف الدهر نعم المؤدّب
أعدّ لفخرى في المقام محمداً وأدعو علياً للعلا حين أركب

٢ — المديح : أظهر ما تتميز به مدائح الشريف الرضى امتزاجها بالفخر والمديح لنفسه ولقومه ، ولعل ذلك راجع إلى شعوره بالعظمة ، وإعتداده بمنزلته على نحو ما تراه في مدائح المتنبي فلا خضوع في مدائحهم ، ولا ذلة ولا استكانة - يقول في مدح الخليفة القادر بالله

عظفاً أمير المؤمنين فأننا في دوحة العليا لا نتفرقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدأً كلانا في المعالي مُعزّقُ
إلا الخلافة ميسرتك فأننى أنا عاطلٌ منها وأنت مُطوّقُ
وقد تمتازج هذه المدائح أحياناً بالمبالغة كما في قوله يمدح سابور بن أردشير
نصبتُ شباباً لم أنل فيه سُبَّةً على أن شيطان البطالة مارِدُ
وكل قى لم يرض عن عزمة القنا ذليلٌ ولو ناجى علاه الفراقِدُ
ولولا الوزير الأزد شيرمى وحده لغاض المعالي والنسدى والمحامدُ
وسد طريق المجد عن كل سالك وضاعت على الآمال هذى الموارد

٣ — الثناء : برع الشريف الرضى في الرثاء حتى قال مؤرخو الأدب إنه أجود الأغراض التي نظم فيها - ولمرائية سمعة ظاهرة هي مزجها بالحكم والفلسفة ، وميله فيها إلى الوعظ والارشاد ، فلا يتكلف المعاني ، ولا يعدد محاسن الموتى ، كما كان يفعل معاصروه ، ولعل من أشهر مرثياته قصيدته التي رثى بها أبا اسحاق الصابي وفيها يقول

جبلٌ هوى لو خر في البحر اغتدى من وقعه متتابع الازباد
ما كنت أعلم قبل دفنك في الشرى أن الثرى يعلو على الاطواد
بعدا ليومك في الزمان فإنه أقضى العيون وفَتَّ في الأعضاء

كيف انمحي ذاك الجنب وعطلت تلك الفجأج وضلّ ذاك الهادي
 طاحت بتلك المكرمات طوائحٌ وعدت على ذاك الجواد عواد
 أعزز علىّ بأن يفارق ناظري لمعانُ ذاك السكوب الوقاد
 وقد لامه بعض المتطرفين في الدين على رثائه أبا اسحاق لانه كان
 صائبا فقال (انما رثيت فضله وأدبه)

ولا تقل مرثيته لآمه عن سابقتها روعة وبلاغة - بل قد تفضلها في
 رأينا لشدة حزنه عليها ، وعمق تأثره لفراقها ، وهي طويلة نجتزئ منها بما يأتي: —
 فارقتُ فيك تماسكي وتجملي ونسيت فيك تعززي وإباني
 كم زفرة ضعفت فصارت أنه أتممتها بتنفس الصعداء
 قد كنت أمل أن أكون لك الفدى مما ألمّ فكنت أنت فدائي
 وتفرق البعداء بعد مودة صعب فكيف تفرق القرباء
 لو كان مثلك كلُّ أم برة غنى البنون بها عن الآباء
 زرآن يزددان طول تجدد أبد الزمان فناؤها وبقائي
 ٤ الحكم : لم يفرد لهذا الغرض قصائد من شعره ولكنه كان يطرزه
 بها ويضمّنه إياها حتى لا تمكاد تخلو قصيدة له من الحكم ، وأكثر ما يكون ذلك
 في المديح والرثاء - ونحسب أنه لم يقصدها ، وإنما جاءت نتيجة لتجاربه
 الطويلة ، وامتلاء نفسه بالعبر والعظات — وحكمه كحكم المعري تبدو فيها
 الفلسفة وكثرة التعمق والتأمل - استمع إليه إذ يقول :

وكم صاحب كالمرح زاعت كعوبه أرى بعد طول الغم أن يتقوما
 كعضورمت فيه الليالي بفادح ومن حمل العضو الأليم تألما
 (٢)

إذا أمر الطَّبُّ اللبيبُ بقطعه أقول عسى، ضناً به ولعلها (١)
دع المرء مطوياً على ما ذمته ولا تنشر الداء العضال فتندما
إذا العضو لم يؤلمك إلا قطعته على مضض لم تُبق لحماً ولا دماً
ومن لم يوطن للصغير من الأذى تعرض أن يلتقي أجلاً وأعظماً

٥ — الشكوى : كان الشريف الرضى متهمكاً بالحياة - متبرماً بصروفها التي
ترفع اللثام ، وتحفض الكرام ، وتقف دون غاياته ورغائبه ، وقد تجهلت هذه
المعاني في شعره فسمعناه يقول :

أعاتب أيامى وما الذنب واحد وهنّ الليالى الباديات العوائد
وأهون شيء فى الزمان خطوبه إذا لم يعاونها العدو المعاند
وكيف تلذّ العيش عينٌ ثقيلةً على الخلق أو قلبٌ على الدهر واجد (٢)
وناضب مال وهو فى الجود فائض وناقص حظٌ وهو فى المجد زائد

٦ — الغزل : أما غزله فعف لاهجر فيه ولا فحش يجرى فيه على طريقة
المتقدمين من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وإن تعمّد فيه السهولة والركة
ومن أمثال ذلك قوله

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبذولٌ لشاربه وليس يرويك إلا مدمعُ الباكي
وعدّ لعينك عندى ما وفيت به يا قرب ما كذبت عيني عيناك
حكمت لحاظك ما فى الريم من ملح يوم اللقاء فكان الفضل للحاكي (٣)
كأن طرفك يوم الجذع يخبرنا بما طوى عنك من أسماء قتلاك (٤)
أنتِ النعيم لقلبي والعذاب له فما أمرك فى قلبي وأحلاك

(١) الطب : الطبيب الماهر (٢) واجد هنا : حاد (٣) الريم : الظبي

(٤) الجرع : اسم مكان

٥ - أسلوبه

فطرى سلس . بليغ في غير تكلف ، جزل دون تعقيد ،
تغلب عليه المحاكاة أحيانا للمتقدمين كالمتنبى والبحتري وابن الرومي -
وحامد القول أن أسلوب الرضى كأديم الصحراء كثير النجاد
والوهاد ، ترى فيه أمثال قوله :

نميتكمو عن ذى همهاهم مُشْبِل حمى بجنوب السبيء ضالا وغرقدا
يجرّ أسابيّ الدماء وراه مجرّ الخليع الشرعيّ المعصدا
إلى جانب قوله :

إياك أن تسخو بوع - ليس عزمك أن تفي به
فالصدق يحسن بالفتى والكذب يحسب من عيوبه

مثل من شعر

مهيّار الديلمي - والسرى الرفاء - وأبى الفتح البستي

١ - مهيّار

هو أبو الحسن مهيّار ابن مرزويه . مجوسى من بلاد الديلم ،
أسلم على يد الشريف الرضى وتخرّج عليه في نظم الشعر ، وعنه أخذ جمال
الأسلوب وتطويل القصائد ، وصفاء الديباجة ، وسعة الخيال ، وهو شاعر
مطبوع يمتاز شعره بالطرافة والابتكار كما يمتاز بالرّقة والسلاسة ، والبعد
عن الغموض والأغراب ، وأكثره في الفخر ، والمديح . وفيه تتجلى آثار
الثقافة الفارسية ولا سيما في وصف ما يحيط به من الأشياء - وقد عاش في
بغداد ومات بها سنة - ٤٢٨ هـ

مُثل من شعره

١ — قال في الفخر

قَوْمِي اسْتَوْلُوا عَلَى الدَّهْرِ قِيَّ وَمَشَوْا فَوْقَ رُؤُوسِ الْحَقَبِ
عَمَّوْا بِالشَّمْسِ هَامَاتِهِمْ وَبَنَوْا أَيْتَهُم بِالشَّهْبِ
وَأَبَى كَسْرَى عَلَى إِيْوَانِهِ أَيْنَ فِي النَّاسِ أَبَ مِثْلَ أَبِي
قَدْ قَبَسْتُ الْمَجْدَ مِنْ خَيْرِ أَبٍ وَقَبَسْتُ الدِّينَ مِنْ خَيْرِ نَبِي
وَضُمْتُ الْمَجْدَ مِنْ أَطْرَافِهِ سَوَّدَ الْفَرَسَ وَدِينَ الْعَرَبَ

٢ — وقال في وصف الشموع

إِذَا وَقَفْنَ صَفُوفًا لِلدَّجَى ثَبَتَ أَقْدَامُهُنَّ لَهُ وَالْهَامُ تَنْهَزُ
تَزْدَادُ نُورًا إِذَا أَبْصَارُهَا انْتَقِصَتْ قَصًّا وَتَثْبُتُ إِذَا جَزَّتِ اللَّمَمُ
مِنْ كُلِّ خَافِقَةِ الْأَحْشَاءِ سَاكِنَةً تَضَاكُ اللَّيْلُ وَالْأَحْشَاءُ تَنْسَجُمُ
هَيْفَاءَ رِقَّتِهَا فِيهَا وَصَفَرَتِهَا مِنْ صَحَّةٍ وَهُمَا فِي غَيْرِهَا سَقَمُ
قَامَتْ عَلَى فَرْدِ سَاقٍ مَالَهَا قَدَمٌ تَشْكُو الْجَوَى بِلِسَانِ مَاحَوَاهُ فَمُ

٣ — وقال في الغزل:

هَبْنِي أَسْتَرْ النُّجُوى أَلَيْسَ الدَّمْعُ يَفْضَحُنِي
لِسَانِي فِيكَ أَمْلِكُهُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَمْلِكُنِي

(١) الحقب : السنين والهامه : الرأس كسرى : ملك الفرس وإيوانه : قصره
والسودد : الشرف (٢) الجوى : الحزن

ب - السرى الرفاء

هو السرى ابن أحمد الكندي — نشأ بالموصل رفاً ومطرزاً — وأولع بالشعر من صغره ، فلزم الشعراء والأدباء ، وعالجه في صباه ، فأسعفه وواتاه ، مدح سيف الدولة في حلب ، والوزير المهلب في بغداد ولبث في كنف كل منهما من عمره سنين ، وما زال ينتقل بشعره في الشرق حتى أثرى بعد عدم ، وأيسر بعد إملاق وبز أقرانه من الشعراء — توفي سنة ٣٦٢ وهو شاعر خفيف الروح ، رقيق التعبير ، مرهف الحس . خالط العامة ، وعاشر الخاصة ، ولهذا جاء شعره حافلاً بالفكاهة الحلوة ، والذكاة الباردة ، إلى جانب الأدب الرفيع — والخلق الوديع

وهو على ضالة حظه من البلاغة وحرمانه الثقافة المنتظمة الجامعة ، كان شائق الأسلوب ، قليل التكلف متواضع الخيال. وأكثر شعره في الوصف والغزل والهجاء وله ملح ودعابات — تزيل الهموم وتضحك التاكلات

مثل من شعره

١ - قال في مدح سيف الدولة :

أغر إذا امتدت يد الدهر كفها	بيض صفاح أو بيض أيا
تروع التدى أمواله بنفادها	وما ريع مجد عنده بنفاد
إذا امتزج المعروف بالبشر عنده	غدا الحمد ممزوج له بوداد
يبيت وحده السيف خل مبيته	لديه وجفن السيف خل سهاد
يصعد أنفاس العدو إذ ثنى	إليه المنايا في طمأ وصعاد

٢ - وقال في وصف قصر

مجلس في فناء دجلة يرتا	ح إليه الخليع والمستور
طائر في الهواء فالبرق يسرى	دون أعلاه والحمام يطير

فاذا الغيمُ سارَ أُسْبِلَ مِنْهُ حَالِلٌ دُونَ جُدْرِهِ وَسُيُورُ
وَإِذَا غَارَتِ الْكُوكِبُ صَبَّحَا فَهُوَ الْكُوكِبُ الَّذِي لَا يَغُورُ

٣ - وقال في عتاب صديق أذاع له سرًّا

سَأَحْفَظُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَائِنًا عَهْدُكَ إِنْ الْحَرْبُ لِلْعَهْدِ صَائِنُ
وَأَلْقَاكَ بِالْبُشْرَا الْجَمِيلِ مُدَاهِنًا فَلِي مِنْكَ خَلٌّ مَا عَلِمْتُ مُدَاهِنُ
أَنْتُمْ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْ زُجَاجَةٍ تَرَى الشَّيْءَ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنُ

وما زال أديب عصره ، وواحد زمانه ، حتى مات ببخارى سنة ٤٠٠ هـ

٣ - أبو الفتح البستي

هو الشاعر الرقيق والكاتب المبدع ، أبو الفتح
على بن محمد البستي ، اتخذه صاحب مدينة (بوست) ببلاد فارس كاتبًا له ، ولما
صارت هذه المدينة إلى سُبُكْتِكِينَ أَبْقَاهُ ، فِي مَنْصَبِهِ وَفُوضَ لَهُ أُمُورُ
الدولة وجعله موضع سره ، وقد كلف بالمحسنات البديعة ، ولا سيما الجناس
فطرز بها نثره ووشى بها نظمه

وشعره حافل بالمعاني الرصينة ، والألفاظ المختارة وإن كانت الصناعة
والتعمُّل واضحين فيه — وله مقطوعات بديعة في الحكم والأمثال —
وأبيات رقيقة في الوصف والغزل

مَثَلٌ مِنْ شَعْرِهِ

١ - قال في الحكم:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لخدمته أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِيمَا فِيهِ خَسِرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فُضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ

٢ — وقال في الفخر : —

قالوا رضيت بدون حقك والغنى
فأجبتهم والقول مني فيصل^١
حسبي التكثُرُ بالفضائل إنها
وإذا تمادى معشر في مفخر
وغناي في دنياي أشرف زينة
من أن يكون ندي لها استغنائى

يسمو بصاحبه إلى العلياء
يحكى غرار السيف وقت مضاء (١)
ذخرى ليومى شدة ورخاء
كنت الأحق بسؤدد وعلاء
من أن يكون ندي لها استغنائى

٣ — وقال في الغزل : —

خذوا بدمى هذا الغزال فأنه
ولا تقتلوه إننى أنا عبده
رمانى بسهمى مقلتيه على عمده
وفى مذهبي لا يؤخذ الحرُّ بالعبد

(١) غرار السيف : حده

تأثر الشعر بالصناعة اللفظية في مصر والشام

١ - دانت مصر في هذا العصر لثلاث دول عرفت أن الفاطمية كانت أكرمها على الأدب ، وأعطفها على الشعراء ، وأن ملوكها كانوا من سلاسل عربية يفهمون الشعر ويجيزون عليه ، وكانت لهم مجالس مناظرة ومحاضرة تشبهه في قليل أو كثير مجالس العباسيين في العصر الأول ببغداد — لذلك ازدحم الشعراء على أبوابهم وتباروا في مدحهم وكان منهم المحسن ومن دونه في الاحسان — بيد أن أشعارهم في جملتها كانت متأثرة بالصناعة اللفظية الى حد بعيد ، فقد كثرت فيها الجناس والاقتراس والتضمين والتوجيه وامتزجت بالدعابة ، وحفّلت بالألغاز ، وكثرت فيها السجع ونحوه من صنوف البديع ، وزادت العناية بالألفاظ زيادة طالما ذوت بجانبها المعاني وخفي المراد من الكلام — وإذا كانت هذه الصناعة اللفظية لم يظهر سىء أثرها في شعر بعضهم لرقّة ومكانته من اللغة ، كما البهاء زهير وابن الفارض ، فقد ظهر في أشعار غيرهما من الشعراء الذين نبتوا في هذا العهد — وإذا كانت هذه الصناعة قد طغت في عصر الفاطميين على ما عرفت فقد كان طغيانها في عصر الأخشيديين أشد وأعظم لجهل الملوك باللغة واحتياج الشعراء الى إرضائهم بهذه الزخارف اللفظية التي انتشرت في عهدهم وأصبحت مقياس الغلبة والسبق بين الشعراء

ب — أما الشام

١ — فلقرّبها من بلاد العرب ؛ واختلاف كثير من سكان

البادية إليها

٢ — والكثرة اتصالها بالعراق منشأ الحضارة الإسلامية

٣ — ولقيام الدولة الحمدانية بها وهي عربية خالصة قدّمنا لك مدى

حبّها للشعر وإيواء ملوكها للشعراء ، ولا سيما سيف الدولة الذي كان سليم

القطرة ، عربيّ الدّوق

لكل أولئك الأسباب احتفظ الشعر بمكانته فظلّ قوى الأسلوب

سامي المعنى ، ولم يتأثر بالصناعة اللفظية إلا في آواخر هذا العصر الذي نحن

بصدده بيد أن الصناعة لم تطغ عليه كما طغت على الشعر المصري

٤ — أضف الى ذلك أن أيام هذه الدولة كانت على قصرها أيام

حروب وفتوح فكان الشعراء يسرون في ركاب الفاتحين يتغنون بانتصاراتهم

ويتمدحون بشجاعتهم ، ويصفون للناس وقائعهم والصناعة اللفظية قليلة

الحظ في مثل هذه الأغراض

وأشهر الذين ذاع صيتهم في هذا العصر بمصر — هم : البهاء زهير — وابن

الفارض وعمارة اليمني — وتميم بن المعز

وأشهر شعراء الشام المتنبي — والمعري — وأبو فراس الحمداني —

وسنعرض عليك مثلاً من شعر كل منهم :

المتنبي

هو حكيم الشعراء ، وشاعر الحكماء ، وأول ثلاثة بلغوا بالشعر غايته ، واتفقوا به الى حيث ينتهي السكال ، وتنقطع الآمال والأوهام - أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي - ولا نعلم شاعراً أوتي من حسن الحظ ، وبعد الشهرة ، وعناية الكتاب والأدباء ، ما أوتي هذا الشاعر ، ولا تزال ذكره بعد ألف سنة ، ومكانته من الأدب تنمو مع الزمن ، وتذربها الشمس للقاصي وللداني - لذلك نقتصر في هذا البحث على القدر الذي يصوره في إجمال ، ويتسع له فراغ الطالب دون اخلال ولا املال

١ - نشأته وثقافته

ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كندة وإليها انتسب ، وكان أبوه سقاء بالكوفة وفارق الحياة ، وابنه في ريعان صباه بعد ما قدم به الشام ، وطاف به في حواضرها وبواديها وقد عاش المتنبي في الكوفة موطن كثير من العلماء والأدباء في ذلك العصر ، وتلقى دروس العربية الأولى من شعرونثر ، في (كتاب) بها كان يجمع أبناء الأشراف والعظماء ، ويرجع عندنا أنه لم يحفظ القرآن ، وان وردت في شعره كثير من الإشارات إلى قصصه

وبعد أن استوفى نصيبه من ذلك الكتاب ، رجع إلى البادية ونزل في بني كلب ، فلبس فيهم من عمره سنين ، يتفقه في اللغة وأساليبها ، يأخذ عنهم خفياتها وغريبها ، وكانت لا تزال صحيحة مبرأة من الشوائب - ثم عاد

إلى السكوفة كما يقول أهلها إذ ذاك بدوى الذوق واللسان، لا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام عربى، فلزم العلماء وصحب الوراقين حتى روى نفسه الظامئة

وما زال مُكبَّأ على مدارسة العلم وحفظ الشعر يقضى نهاره فى الدرس والمطالعة ويقوم الليل إلا قليلا بين كتب اللغة ودواوين الشعراء — وكان قوى الحافظة سريع الخاطر، يطيل النظر فى الصحيفة ثم يطويها فإذا هو قد حفظها، وما زال كذلك حتى ذاع صيته على حداثة سنه، ودوى فى الآفاق ذكره — وكان شديد العناية والحرص على ديوانى البحترى وأبى تمام كما تدل على ذلك تصحيحاته التى وجدت على حواشى كل منهما بعد وفاته — كما أعجب بابن الرومى وحفظ أكثر شعره — وهؤلاء الثلاثة هم أساتذة الشعراء فى أزهى عصور اللغة

وهكذا كان كلما رحل إلى بلد من البلاد وما أكثر رحلاته، قصد أدباها وعلمائها، إما الأخذ عنهم أو لمناظرتهم ومساجلتهم، وحسبك دليلا على علمه باللغة وإلمامه بها، أن تعلم أنه عندما زار مصر، جلس فى جامع عمرو ينشد الشعر، ويتحدث بغير اللغة، وليس فى مجلسه يومئذ أعلم منه — وأن ابن العميد قد قرأ عليه ديوان اللغة فى أرجان كما قرأ عليه غيره من أدباء بغداد وشيراز

ب — طرف من أخباره : —

كان المتنبي كثير الطموح، على النفس، فسيح الآمال وفى سبيل ذلك تحمّل المشاق، وعانى الصعاب، وأصيب من حدثان الدهر بما لا لم يصيب به شاعر قبله، وكأنه قد غنى نفسه بقوله : — وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

١ — فلم يقنع بما تنقطع عنده آمال غيره من الغنى والشهرة من طريق الشعور والأدب ، بل طمع فيما يطمع فيه الملوك من الفتح والنصر وسعة السلطان فدعا إلى بيعته قبل أن يبلغ العشرين من عمره قوما من الذين افتتنوا بشعره والتفؤوا حوله — وحين إذ كاد يتم له ما أراد ، اتصل نبؤه بوالى المدينة فقبض عليه وحبسه ، ثم استعطفه بقصيدة طويلة من أجل آياتها قوله : —
أمالك رقىّ ومن شأنه هبات اللجين وعق العبيد
دعوتك لما برانى البلي وأوهن رجلى ثقل الحديد
فلما قرأها الوالى عفى عنه وأطلقه

ب — وحينئذ عجز عن نبيل الملك وصفرت يده من وسائله طلب ماهو أسمى منه ، فخرج فى سنة عشرين وثلاثمائة إلى بادية السماوه (١) وأقام فى أهلها مدة فتنهم خلالها بشعره وأسر قلوبهم ببلاغته ثم ادعى النبوة فيهم وأخذ يتلو عليهم كلاما زعم أنه قرآن أنزل عليه .

فاستجاب لدعوته بعض أغرار العرب وشاع أمره فخرج عليه أمير حمص من قبل الاخشيد وأسرده هوو أنبأه وزج بهم فى غيابة السجن . وما زال فيه حتى كادت تتلف نفسه ، فاستتابه الأمير وأطلقه بعدما أخذ عليه العهود والمواثيق ألا يعود إلى دعواه .

ح — خرج المتنبى من السجن وقد لصق به ذلك الاسم وكأنه قد أراد بعد ذلك أن يقنع من دهره الضنين بالشيعة الأدبية التى نالها والتى يمكن أن ينالها بشعره فيما بعد ، فلزم الكوفة ، وبدأ ينظم القصائد فى أغراض مختلفة فسمع به الملوك والأمراء ، وتسابقوا إلى استدائنه بالجوائز فدنا حتى انتهى إلى سيف

(١) يزعم بعض المؤرخين أنه ادعى النبوة إبان اقامته فى بنى كلب تلك الاقامة التى أشرنا إليها من قبل ، وإن الذين بايعوه لفيف من ابنائهم — ولكن هذا رأى ضعيف فى رأينا لحدائثة سنة يومئذ من جهة — ولاجماع المؤرخين من جهة اخرى على انه ذهب ليتعلم منهم اللغة لا ليسحروهم بما أعاروه منها بيد أن هذه الرواية فيها خلاف طويل وأكبر الظن أنه لم يتنبأ وانها مختلفة عليه

الدولة ابن حمدان فألقى عصا التسيار ، وأقام في كنفه تسع سنين كان فيها شاعره
المقدّم في مجالسه ، الغارق في نعمته ، يصحبه في غدواته وروحاته ، ويسير
في ركابه محارباً ، ولا يفارقه مسالماً ، وقد مدحه بقصائد خالدة سارت بها
الركبان ، وتحدث بها الأدباء في كل مكان

وكانت هذه العناية التي صادفها ، المتنبي من سيف الدولة وتلك المكانة التي سعد
بها عنده ، سبباً في تأليب الحسادين عليه ووشايتهم به ولا سيما أبي فراس
الحمداني ، الذي غلبه المتنبي على مكائده عند ابن عمه سيف الدولة .

وما زال في رحابه ناعماً مترفاً ، حتى وقعت بينه وبين ابن خالويه مؤدب
الملك مناقشة غضب لها فوئب على المتنبي وضربه في وجهه بمفتاح كان معه
فشجّه ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعاً عنه كما كان ينتظر ، فترك مجلسه
وخرج غضباناً أسفاً

١ — وبعد خروجه من حلب اتجه إلى مصر والتقى بكافور
الآخشيدي ومدحه ، فأعجب به وبشعره ، وأجزل له العطاء وقربّه حتى صار
يخرج كما يخرج الملك في حُرّاس وحجّاب ، ثم تغالى في مطالبه ، فتمنى على
كافور أن يوليه إمارة أو ولاية في مصر أو في الشام — ولكن كافور خاف
أطاعه وخشى مغبة طموحه فأعرض عنه ونأى بجانبه — وعُوتب في ذلك
فقال (يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا يدعى الملك
بعد كافور) .

ه — وأبت على المتنبي نفسه العالية أن يصبر على هذا الصدود
والاعراض ، فخرج من مصر ليلة العيد وهو يكاد يتميز من الغيظ ، وأمّ
الكوفة ، وفي طريقه إليها أنشد قصيدته المعروفة التي يقول في مطلعها : —
عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وتم ذهب من الكوفة إلى بلاد فارس فامتدح عضد الدولة ابن بويه ونال من كرمه وحسن عطائه ، ثم قفل راجعاً إلى بغداد ومعه ابنه وغلّامه حتى إذا كانوا بالقرب من النعمانية إلى الجانب الغربي من سواد بغداد خرج عليهم فانتك بن أبي جهل الأسدي في جماعة من بني ضبّة وكان المتنبي قد أقذع في هجائه ، فلما أحس ضعفه واستشعر هزيمته عمد إلى الفرار فقال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل : —

الخيّل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
فكرّ راجعاً وما زال يُقاتل حتى قُتل هو وابنه وغلّامه .

أخلاقه وصفاته : —

كان المتنبي شجاعاً مقداماً ، قوى الإرادة ، على الهمة عارفاً لنفسه حقاً ، كثير التشبه بالملوك ، طالما دخل عليهم متقلداً سيفه ، وكثيراً ما أنشدهم وهو جالس — وكان عفّاً قليل المزاح ، لا تعرف القناعة سبيلاً إلى نفسه ، حريصاً على الدنيا ، شحيحاً بما في يده — وأظهر الأخلاق التي تميز بها على الشعراء ، هي الآباء والطموح وعلو النفس يظهر ذلك أولاً في حمل الناس على مبايعته — ثم في ادعائه النبوة — ويظهر ثانياً في موقفه الأخير من سيف الدولة ولي نعمته ، ومصدر سعادته وشهرته ، وتركه صحبته لتوانيه في الدفاع عنه .

ويلازمه هذا الآباء في مصر ، فيتركها بالليل ساخطاً مغضباً ، لأنه رأى في إعراض كافور إهانة لا تقبلها نفسه ، ولا يحتملها كبرياؤه — وإنك لترى هذا الآباء واضحاً في مثل قوله لسيف الدولة : —

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أمم^(١)
ويخيل إلينا أن هذا الآباء وذلك الكبرياء يرجع إلى : —

- ١ — نشأته الأولى مع أبناء الأشراف في الكوفة
- ٢ — عشرته للبلوك وتنافسهم عليه واعجابهم به وبشعره
- ٣ — تفوقه على غيره من شعراء عصره في قوة الحافظة ، والامام باللغة .

شعره

ليس في تاريخ الأدب العربي شاعر كالتنبي أجمع الأدباء وأئمة النقد ، على أن شعره في أعلى درجة من البلاغة والرصانة ولا عجب فقد جمع بين جودة اللفظ وجزالته ، وقوة المعنى وروعته — لم يترك باباً من أبواب الشعر إلا طرقة وأجاد فيه — وإذا كنّا لا نجد للشاعر في كل قصيدة من قصائده سوى بيت متميز أو بيتين فقلنا نجد له أكثر من بيت أو بيتين . نزل فيها إلى مستوى غيره من الشعراء .

وشعره حافل بالفلسفة التي نقلها عن أرسطو وعن غيره من فلاسفة اليونان ، مفعم بالحكم البالغة ، والأمثال الرائعة ، نتيجة الطول تجاربه ، وسعة اطلاعه وهو طموح إلى المعاني الضخمة التي تنقطع عندها همم أقرانه — وإذا نظم في غرض مطروق ابتكر فيه من الأخيلة ، وحسن التصوير ما يشهد له بالبراعة والسبق ويجعله مثلاً يحتذى — وإنك لتقرأ شعره فترى اللغة كأنما ألقت إليه قيادها وأسليت إليه ذمامها فصرفها تصريف الأديب المذلل — يمدح الشيء فتخاله كمالاً لا عيب فيه ، ثم يذمّه فلا ترى على وجه الأرض أحقر منه — مدح كافوراً فرفعه إلى السماء ، وسما به إلى مرتبة الأشراف والنبلاء وهو خصي أسود ثم ذمه فهو يبه إلى الحضيض — ولعل من الأسباب التي زادت في إقبال الناس على شعره — وصفه لطبائع النفوس ، وأصول الاجتماع ، وحفله بشرح الأدوات الخلقية وطريق علاجها — والتعبير عن مكنون العواطف التي لا يجد الناس إلى التعبير عنها سبيلاً — وينسب إليه بعض معاصريه أنه كان كثير الاغارة

على معاني غيره واستخدامها في شعره ونحن إن وافقناهم على هذا الرأي فمن الحق أن تعترف بأنه كان صناعا ماهرا يقبس من غيره ما يقبس ولكنه يبذل فيه من المجهود ما يُغَيِّرُ معالمه ويصيرُه ثمرة من ثماره وأكثُر المعاني التي نظم فيها فبلغ غاية الاجادة والاحسان

المريح - والوصف - والبراء - والحكم - والامثال - والهجاء -

وأقلها الغزل والنسب ، وسندكر لك فيما يلي مُثَلا لكل غرض من هذه الاغراض

مثل من شعره

١ - المديح :-

يخيل لمن قرأ مدائح المتنبي وهي تشغل أكثر من نصف ديوانه ، أنه يقرأ نوعا جديدا من المديح ، يكاد يختلف عما قرأه لغيره من الشعراء - فهو لا يمدح الناس بصفاتهم ، من شجاعة وإقدام ، أو كرم وجود ، ولكنه يصعد إلى أفق أعلى مما ألفه العقل ، ويسعفه الخيال الواسع والفكر الثاقب ؛ فيتخيل في شيء من المبالغة ، أن سيف الدولة لا تجد جيوش أعدائه قبل الحرب لكثرتها أرضا تحملها - ثم يصورها بعد الحرب لقلتها لا تجد منهم الأرض رجلا تحمله كل ذلك في بيت واحد هو :-

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم أرضا بلا رجل
وقد يذهب به الخيال إلى أبعد من ذلك ، فيدعي أن السيوف تزهو وتنه
لتوهمها مشاركة سيف الدولة في كرم الأصل ، فيتهم بها ويؤنسها على هذا الظن ، - ثم يرجع باللائمة على من سماه سيفا لأن من السيوف ما ينبو ، ويمدحه بالحلم والصبر على جهل الناس فيقول :-

ولما تلقاك السحاب بصوبه تلقاه أعلى منه كعباً وأكرم^(١)
فبأشرف وجهها طالما بأشرف القنا وبلى ثيابا طالما بللها الدم^(٢)
أتحسب بيض الهند أصلك أصالها وانك منها ، ساء ما أتتوهم^(٣)
إذا نحن سميناك خلنا سيوفنا من التيه في أغمارها تتبسم^(٤)
ولم نرمك قط يدعى بدونه فيرضى ولكن يجهلون وتحلم

ولمناح المتنبي سمة أخرى هي مزجها دائماً بالفخر بنفسه والتدح باخلاقه وصفاته ، وكأنه يريد دائماً أن يفهم بمدوحه أن الذي يمدحه ليس شاعراً مُعَدِّ ما يتملقه ، ولكنه من عظيم لا يقل ، عنه حتى يصغى لقوله ويُعنى بكلامه ويحاول جهد استطاعته أن يدخل في روعه أن شعره هو الشعر ، وما عداه صدق له ، وأن غيره من الشعراء إذا مدحوا فأنما يرددون قوله ويرجعون صوته وقد تذهب به الجرأة والاباء إلى أبعد من ذلك فيدعى أن يمدوحه محتاج إلى مدائح حاجته إلى الرشح والسيوف فيقول مخاطباً سيف الدولة : —
وما أنا إلا سمري حملته فزيت مغروضاً وراع مسدداً
وما الدهر إلا من رؤاة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
أجزنى إذا أنشدت شعراً فأنى أنا الصائح المحكى والآخر الصدى
تمركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي بنعائك عسجداً
وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الاحسان قيّداً تقيّداً

(٢) الوصف :

برع المتنبي في وصف المعارك الحربية ، لأنه شهد

(١) الصوب : المطر (٢) بيض الهند : السيوف (٣) التيه : الزهو والعجب

الحروب بعينه ، وسمع صليل السيوف بأذنيه ، ومشى في ركاب سيف الدولة إلى ميادين القتال فرأى السكر والقر ، والاقدام والاحجام ، فاذا وصف لك معركة حربية ، خلت نفسك تحت مشبك القنا وظلال السيوف ، وأسمعك صهيل الخيل وأنين الجرحى حتى لتفتقد قلبك من جزع ، أو تنفض ثوبك من غبار ، واليك وصفه لجيش سيف الدولة وقد أوقع بأعدائه ، وتصويره الهزيمة والطراد ، والأعضاء كيف تتناثر ، والدماء كيف تسيل ، كل ذلك في خيالٍ بديع وأسلوب أبدع .

وظل الطعن في الخيلين خلّسا كأن الموت بينهما اختصار
فلزّهم الطراد إلى قتال أحدّ سلاحهم فيه الفِرار
مضوا متسابقى الأعضاء فيه لأرؤسهم بارجلهم عشار
يغادر كلّ ملتفتٍ إليه ولبته لثعلبه وجار (١)
إذا صرف النهار الضوء عنهم دجا ليلان ليل والغبار
وجاؤا الصّحاح بلاسروج وقد سقط العمامة والخنار (٢)
فأرهقت العذارى مُردفات وأوطئت الأصبية الصغار (٣)
إذا فاتوا الرماح تناولتهم بأرماح من العطش القيّفار (٤)
وكما برع في وصف الوقائع الحربية ، برع كذلك حتى فاق أقرانه في وصف ما يحيط به من مظاهر الطبيعة حيوانها وجمادها — وله في الوصف خيال رائع ، ومبالغات طريفة ، ودعابة حلوة ، تجعل في وصفه كثيراً من اللذة ، وتخلع عليه حلة ضافية من الجمال — وأوصافه مزدانة بالتشبهات الجميلة والاستعارات البديعة ، ولا سيما في تصوير النفوس ووصف المعنويات وإليك بعض أبيات وصف بها حتى أصابته في مصر

(١) اللبة : الصدر والوَحار : بيت الكلب والثعلب ونحوهما (٢) الصّحاحان : اسم مكان والخنار : ما تغطى به المرأة وجهها (٣) الأصبية تصغير الصبية (٤) القفار : الصحارى

وزائرة كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام
 بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي
 يضيق الجلد عن نفسي وعنهما فتوسعه بأنواع السقام
 إذا ما فارقتني غسّلتني كأننا عاكفان على حرام
 كأن الصبح يطردها فتجري مدامعها بأربعة سجام
 أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
 ويصدق وعدّها والصدق شر إذا ألقاك في الكرب العظام
 أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام (١)
 جرحت مجرحاً لم يبق فيه مكان للسيوف ولا السهام

٣ - الرثاء

عرفت أن أبا الطيب كان متبرماً بالحياة ساخطاً على الزمن
 وصروفه - فاذا أضفت إلى ذلك أنه كان فيلسوفاً حكماً يعرف قيمة الدنيا
 وهوانها ، ويدرك ما فيها من زخرف زائل ، وأمل كاذب ، وأنه كان شاعر
 سيف الدولة وشاعر أبي العشأ من قبله ، وشاعر القوم الذي يخصص نفسه
 لمدهم لا بدله أن يرثي موتاهم ، وأن يجيد في رثاء الميت كما اجاد في مدح
 الحي - إذا عرفت كل ذلك سهل عليك أن تعرف السبب في نبوغه وإجادته في
 الرثاء يقول معزياً سيف الدولة في أخته

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعت فيه بآمالى الى الكذب
 حتى اذا لم يدع لى صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
 غدرت يا موت كم أفنيت من عدد بمن أصبت وكم أسكت من لجب (٢)

(١) بنت الدهر : يريد بها الحى وبنات الدهر شدائد (٢) اللجب الأصوات الشديدة

أرى العراق طويل الليل مذنعيت فكيف ليل قتي الفتیان فی حلب
فان تكن مُخلقت أنثى لقد خلقت كريمة غير أنثى العقل والحسب
فليت طالعة الشمسین غائبةً ولیت غائبة الشمسین لم تغب (١)
قد كان كل حجاب دون رؤيتها فما قنعت لها يا أرض بالحجب
ولا رأيت عیون الانس تدركها فهل حسدت عليها أغین الشهب
وكان كثيرا ما يمزج مراثیه بالفلسفة والحكمة ويميل فيها إلى العظة
والنصيحة — يقول فی رثاء ابن مات لسيف الدولة فی طفولته
تركت خدود الغانيات وفوقها دموع تذيب الحسن فی الأعین النجل (٢)
فان تك فی قبر فانك فی الحشا وان تك طفلا فالأسی ليس بالطفل
ومثلك لا يبكي علی قدر سنّه ولكن علی قدر الخيلة والأصل
عزاءك سيف الدولة المقتدى به فانك نضل والشدائد للنصل
وما الموت إلا سارق دق شخصه وصول بلا كفّ ويسعى بلا رجل
وما الدهر أهل ان تؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

٤ — الحكم والأمثال

لا تسكاد تخلو قصيدة من قصائد المتنبي من حكم
موجزة بالغة ، وأمثال محكمة رائعة ، وتمتاز حكمه بتصوير خفايا النفوس ،
والتعبير عن بواطن الأمور حتى لتسمع الحكمة فيخيل اليك أنها خاصة بك
وتقرأ المثل فتظنه لم يضرب إلا إليك ونحسب أن هذه الحكم وتلك
الأمثال هما اللتان بنيت عليهما شهرته وكان لهما الفضل الأول في تعريف
الناس به وتقديرهم له .

(١) يريد بالطالعة : شمس النهار وبالغائبة : اخت سيف الدولة التي يرثيها

٢ - العين النجل : الواسعة

فن حكمه المشهورة :

وكل امرئ يولى الجليل محبباً وكل مكان ينبت العزّ طيب
ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدوّاً له ما من صداقة بدّ
وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام
لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدمّ
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضرّ ويقول
كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللثام
ومن أمثاله السائرة : -

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن
وإذا ما خلا الجبان بأرض قوم طلب الطعن وحده والنزالات
إذا نلت منك الودّ فالمال هيّن وكل الذى فوق التراب تراب
ومن لم يعشق الدنيا قليل ولكن لاسيل الى الوصال
وشر ما قنصت راحتي قنص شبه البزاة سواء فيه والرخم (١)
وله أعجاز أبيات اتخذها الناس أمثالا منها : -

أنا الغريق فما خوفي من البلل - وفي الماضى لمن بقى اعتبار - والجوع
يرضى الأسد بالجيف - ومن وجد الاحسان قيداً تقيداً - ولكن صدم الشر
بالشر أحزم - بجمهة العير (٢) يفدى حافر الفرس - ومن يردّ طريق العارض (٣)
الهلل - مصائب قوم عند قوم فوائد - وبضدها تتبين الأشياء - إنا لنهزل
والأيام فى الطلب .

(١) الراحة : اليد والقنص : المصيد - والرخم . اسم طائر يأكل خبث الأرض

(٢) العير : الحمار (٣) العارض : السحاب

٥ - الهجاء :

هجاء المتنبي صورة لنفسه المحرومة الساخطة على
الدهر ، لوقوفه في وجهه وعوده به عن إدراك آماله وتحقيق رغائبه ، بيد أنه
كان مقدعاً في هجائه ، إذا غضب على إنسان ولو كان صديقه أطلق فيه لسانه
دون روية ولا أناة ، ونسى ، ما كان بينهما في الماضي من صلة ، وما قال فيه
من مدح ، وما ناله عليها من عطاء - يقول في هجاء كافور ، بعد أن رفعه بمدحه
إلى السماء : -

أكلما اغتال عبدُ السوء سيدهُ أو خانهُ ، فله في مصر تمهيد ؟
العبدُ ليس لحرٍّ صالح بأخ لو أنه في ثياب الحرِّ مولود
لا تشتتر العبد الا والعصا معه إن العبيد لانجاس منكيدُ
من علم الأسود المخصى مكرمةً اقوامه ؟ البيضُ ، أم آباؤه الصيدُ (١)
أم أذنه في يد النخاس داميةً أم قدره ، وهو بالفلسين مردودُ (٢)

٦ - الغزل :

يكاد يكون هذا الغرض أقل الأغراض التي نظم
فيها - وغزله صناعي يثلب على الظن أنه قصده ليكمل به أبواب شعره - فلم
يرو عنه التاريخ أنه كان عاشقاً مغرماً - بل لم يكن في حياته التي شرحنها لك

(١) الصيد : جمع أصيد وهو السيد في قومه

(٢) النخاس تاجر العبيد - والفلس : نوع من النقود كان شائعاً في عصر

المتنبي ولا يزال مستعملاً في أكثر البلاد العربية ولعله يساوى القرش في
النقود المصرية

ما يتسع للهو والمجون - بيد أن ما بأيدينا من غزله رقيق عذب مما يد لنا على
أن الكمال كان حليفه على الدوام ، والتوفيق رائده في كل ناحية من نواحي
الكلام ، واليك مثال من غزله : -

لبسن الوشى لا متجملات ولكن كى يصن به الجمالا
وضقن الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا (١)
بجسمى من برته فلو أصارت وشاحى ثقب لؤلؤة لجالا
كأن الحزن مشغوف بقلبي فساعة هجرها يجد الوصالا

ه - أسلوبه : -

يتميز أسلوب المتنبي بالجزالة والقوة ، وتآلف الألفاظ
واصطباغه في مجموعه بأشكال المنطق والصناعة المقصودة ، التي لا تخلو من
جمال - وأحيانا يقسو على الألفاظ فيحملها من المعانى ما تضيق به - ويأخذ
عليه بعض مؤرخى الأدب ميله في بعض قصائده إلى الاغراب والتعقيد
رغبة في الشهرة وحباً في الظهور - بيد أن هذه كلها هنات لا تنقص قدره
ولا تعكس بجره - وحسب ذلك الأسلوب فخاراً ، وحسب صاحبه خلوداً
على الدهر ، أن يشهد له بالبراعة والسبق ، ويعترف له صاحبه ابو العلاء بمتانة
الأسلوب ، على فرط ذكائه ورفعة قدره فيقول : (حاولت طويلاً أن أبعد
كلمة من كلمات المتنبي فأضع مكانها أخرى مع المحافظة على سلامة أسلوبه
ومعانيه فرأيت ذلك مستحيلاً)

(١) الغدائر : الضفائر - والشاح : حلية تشبه القلادة يلبسها النساء في العنق

سر عظمة المتنبى :-

جدير بك بعد هذا البحث الطويل أن تعرف
سر عظمة المتنبى وتقف على الاسباب التى من أجلها ذاع صيته وبزّ الشعراء
فى كل عصر ومصر ، فضربت شعره الاملال ، واشتغل الناس بذكره
ألف سنة ، يتدارسون شعره ، ويشرحونه وينقدونه ، ويتعصبون له أو عليه
ولا تزال الصحف المصرية ، تردد صدى ذكره الالفية ، فى جميع البلاد
العربية ونحن نجمل لك سر هذه العظمة فى الاسباب الآتية

- ١ — خروجه إلى البادية وأخذة اللغة عن أهلها قوية صحيحة لم تفسدها
العجمة ولم ينل منها الاختلاط
- ٢ — إكبابه على تعلم اللغة وهو صبى وشغفه بجمع شواردها
وحفظ غريبها
- ٣ — تعدد رحلاته وكثرة أسفاره ومن سافر يوما فقد أضاف
إلى عمره عاما
- ٤ — وجوده فى عصر نضجت فيه الثقافة واكتمل فيه نمو العلوم -
- ٥ — عشرته للبلوك وإعجابهم بشعره وإجازتهم له عليه الجزاء الأوفى -
- ٦ — ذكاؤه وقوة حافظته .
- ٧ — علو نفسه وطموحه إل ما لم يطمح إليه غيره من الشعراء

أمثلة من شعر

أبي العلاء المعري - وتيم بن المعز
وابن الفارض - والبيهاء زهير

١ - أبو العلاء المعري :

هو الفيلسوف الشاعر أحمد بن عبد الله بن سايان التنوخي - وُلد بمجرة النعمان سنة ٣٦٣ هـ وكان جدّه قاضياً بها وفي السنة الثالثة من عمره أصيب بجذري أفقده بصره ، وكان قوى الحافظة سريع الفهم ، أكبّ على العلم والأدب ، ولزم الوراقين وصحب الغلماء والأدباء حتى استنفد ما عندهم .

وفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة زار بغداد ، بعد ما طاف في ربوع الشام وكانت قد سبقته إليها شهرته ، فقبول بالحفاوة والاحلال وأقام فيها مدة درس فيها حكمة اليونان ، وفلسفة الفرس والهنود — وقد نعت إليه أمه وهو في بغداد - وكان أبوه قد مات من قبلها فوجد عليها ونظر من أجلهما إلى الدنيا بمنظار أسود - وعاد إلى المعرة وهو آية عصره ، ونادرة زمانه ، فلزم داره وسمّى نفسه رهن المحبين ، وعاش بقية أيامه متنسكاً لا يأكل اللحوم ولا يفكر في الزواج حتى وافته منيته سنة ٤٩٩ هـ

وشعره جزل رصين ، مملوء بالحكمة والفلسفة — وله مؤلفات كثيرة
أشهرها سقط الزند واللزوميات

مثل من شعره

١ — قال في المديح : —

ألفت الحرب حتى قال قوم أما لصلاح ينسب كما فساد
تموت الدرع دونك حتف أنف وييلي فوق عاتقك النجاد
ركبت العاصفات فما تجارى وسدت العالمين فما تساد
تذود علاك شراد المعاني الى فمن زهير أو زياد؟
إذا ما صدها قالت رجال ألم تكن الكواكب لاتصاد
ولولا فرط حبك ما ازدهانى إلى المدح الطريف ولا التلاد
فان يكن الزمان يريد معنى فانك ذلك المعنى المراد

٢ — وقال في الفخر

وكم من طالب أمدى سيلقى دؤين مكانى السَّبْعَ الشدادا
يؤجج في شعاع الشمس ناراً ويقده في تلهبها زنادا (١)
ويطعن في علأى ، وإن شسى ليأنف أن يكون له نجادا (٢)

-
- (١) أى أن من يسابقنى ويبارينى فى انجد لا يدركنى بل يكون مثله كمثل من
يؤجج ناراً يكيد بها الشمس
(٢) أى شسع نعلى ورباطه أشرف من نجاد سيفه

ويُظهر لى مودته مقالا وميغضنى ضميرا وإعتقادا
فلا وأييك ما أخشى إنتقاصا ولا وأييك ما أرجو إزديادا !
لى الشرف الذى يظاً الثريا مع الفضل الذى بهر العباد
ولو أنّ النجوم لدى مالٌ نفّت كفاى أكثرها إنتقادا
ولو أنى حبيت الخلد فرداً لما أحبيت بالخلد إنفرادا
فلا هطّلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا (٣)

٣ — وقال فى الرثاء

غير نجد فى ملنى وإعتقادی نوح باك ولا ترنّم شاد
وشبيه صوت النعى إذا قيس بصوت البشير فى كل ناد
صاح هذى قبورنا تملأ الرّحّب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهد هو ان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت فى الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد

٣ - تميم ابن المعز

هو الامير الشاعر ، أبو على تميم ابن الخليفة المعز
لدين الله الفاطمي ، نشأ فى أحضان الملك ، وعاش فى ترفه ونعيمه - وكانت
حياته أشبه بحياة المعز ، ولذلك كان دائما يتشبه به ، ويتشبث بأذياله -
وقد كان على الهمة ، واسع الآمال - تطلعت نفسه الى الخلافة فحالت
الحوائل دون غايته وعاش ساخطا على الدهر مطويا على حسرات
وله نفس كبيرة ، تتمثل فيها أخلاق الملوك ، من صبر ووجد ، وإباء وشمم

وشجاعة وإقدام — وكان كريما مسامحا ، يرتاح إذا أعطى ، ويهتز إذا تمدح ،
توفي بمصر سنة ٣٦٨ هـ

مثل من شعره

١ — قال في الفخر **لعمري**
ألقى الكميّ فلا أخاف **لعمري** ويفلّ إقدامي شبا الحدثان (١)
وأكثر في صدر الخيس معانقا للوت حين يفر كل جبان (٢)
ويزيدني كره الخطوب تعظما وتسلب الأيام عزّ مكان
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق ذرعا بأيامى وغدر زمانى

٢ — وقال في وصف فوارة في بستان

وقاذفة بالماء في وسط بركة

قد التحفت ظلا من الايك سيجسا (٣)

إذا انبثقت بالماء سلته مُنصلا وعاد عليها ذلك النصل هودجا
X تحاول إدراك النجوم بقذفها كأن لها قلبا على الجو مُخرجا

٣ — وقال في الغزل

شبهتها بالبدر فاستضحكت وقابلت قولى بالنكر
وسفهمت قولى ، وقالت : متى سمجت ؟ حتى صرت كالبدر !
والبدر لا يرنو بعين كما أرنو ، ولا يسلم عن ثغر
ولا يميّط المرط عن ناهد ولا يشد العقدة في نحر (٤)

(١) الكمي : الشجاع (٢) الخيس : الجيش (٣) السجسج : الذى لا حر
فيه ولا بود (٤) المرط : كساء تلتفع المرأة به

٣ — ابن الفارض

هو أبو منصور ، عمر بن علي المرشد — ولد بالقاهرة ،
من أسرة حموية الأصل ، وكان أبوه يتولى في مصر كتابة فروض النساء ،
فسمى ابنه بابن الفارض — نشأ ميالاً إلى العزلة ، والانفراد ، وسافر وهو صبي
إلى مكة فمكث فيها خمسة عشر عاماً وعاد إلى القاهرة ، فصادف من أهلها
حفاوة ، وتعظيماً ، وتأنساً على القرب منه ، فأقام فيهم زمناً ثم حج البيت
ثانياً والتقى في مكة بالسهروردي الشاعر المعروف ، ثم عاد إلى مصر ومات
بها سنة ٦٣٢ هـ ودفن بسفح المقطم

وأكثر شعره في التصوف والزهد وقد جره ذلك إلى الإطالة في
قصائده ، حتى تزيد بعضها عن السبع مائة بيت كلها غزل صوفي ، ورموز
لا يفهمها ولا يدرك مراميها من الناس إلا القليل ، وله كلف بالمحسنات
البديعة ، ولا سيما التورية والجناس ، وقد يغرق فيهما أحياناً إلى حد التكلف
والإغراب ..

مثل من شعره

١ — قال في وصف الخمر على الطريقة الصوفية

يقولون لي صفها فأنت بوصفها	خيرٌ أجل عندي بأوصافها علم
صفاءٌ ولا ماء ولطف ولا هواً	ونورٌ ولا نار وروح ولا جسم
وما سكنت والهم يوماً بموضع	كذلك لم يسكن مع النغم الغم
وفي سكرةٍ منها ولو عمر ساعة	تري الدهر عبداً طائعاً أولك الحكم
فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحياً	ومن لم يمت سُكر أبها فانه الحزم

٢ — وقال في الشوق والحنين ، من قصيدة مشهورة ، عذبة الروى تربو

أبياتها على الثمانين

سائق الاطعان يطوى البيدطى
منما عرج على كشبان طى (١)
وتلطف واجر ذكرى عندهم
علمهم ان ينظر واعطفا إلى
قل تركت الصب فيكم شبحا
ماله ما براه الشوق فى
صاديا شوقا لصدى طيفكم
جد ملتاح إلى رؤيا ورى
يا أهيل الود أنى تنكروا
فى كهلا بعد عرفانى فى
نصبا أكسبنى الشوق كما
تكسب الأفعال نصبا لام فى

٢ — ومن غزله الرقيق

إن لم يكن وصل لديك فعده
أملى وما طل إن وعدت ولا تاف
فالطل منك لدى إن عز الوفى
يحلو كوصل من حبيب مسعف
يا أهل ودى أنتم املى ومن
نادا كمو يا أهل ودى قد كفى
وحياتكم وحياتكم قسمى وفى
عمرى بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحى فى يدى ووهبتها
لمشرى بقدمكم لم أنصف

٤ — بهاء الدين

هو أبو الفضل زهير بن محمد المهلبى ، ولد بالقرب من مكة
وقدم إلى مصر واتصل بالملك الصالح نجم الدين الأيوبى وانتقل معه إلى
الشام ، وما زال فى خدمته حتى أسره ابن عمه ، فحفظ بهاء الدين ولاءه ، ولم
يتصل بغيره ، ولذلك زاد فى اكرامه ، بعد خروجه من سجنه وعودته الى
مصر ، وقربه وجعله موضع سره الى أن وافى بهاء الدين منيته سنة ٦٥٦ هـ
وكان على جانب عظيم من كرم الطباع ، ودمائة الاخلاق وقد ، تلاقى

١ - الظامنة : الهودج والمراد الجمال والبيد جمع يداء وهى الصحراء - منعا :

متفضلا والكشبان : التلال : - وطى اسم قبيلة

في القاهرة بآبن خلدكان المؤرخ الأدبي المعروف وشهد له بالعلم والفضل، وكانت بينه وبين ابن مطروح، مناظرات في الأدب ومحاورات — وشعره يتسم في مجموعه بالدعابة، وخفة الروح، وبه تضرب الأمثال في رقة الأسلوب وعذوبته، ووضوحه وسهولته — واكثر شعره، غزل عف، ومديح معقول، ومزاح مقبول

١ — قال في وصف مصر والحنين اليها

سقى واديا بين القريش وبرقة	من الغيث هطال الشايب هتان
وحيا النسيم الرطب عني اذا سرى	هنالك أوطانا اذا قيل أوطان
بلاد متى ما جئتها جئت جنة	لعينيك منها كل ما شئت رضوان
فيا ساكني مصر تراكم علمم	بأنى مالى عنكم الدهر سلوان ؟
وما في فؤادى موضع لسواكم	ومن أين فيه وهو بالشوق ملان
عسى الله تطوى شقة البعد بيننا	فتهدأ أحشاء وترقأ أجفان (١)

٢ — قال في الغزل من قصيدة غنائية مشهورة

غيرى على السلوان قَادِر	وسواى فى العشاق غادر
لى فى الغرام سريرة	والله أعلم بالسرائر
ومشبه بالغنص قلا	بى لا يزال عليه طائر
حلو الحديث ، وإنها	لحلاوة شقت مرائر
أشكوا وأشكر فعله	فأعجب لشاك منه شاكر
يا ليل مالك آخر	يرجى ولا للشوق آخر

يا ليل ، طل يا شوق دم	إنى على الحالين ضابر
طرفى وطرف النجم في	ك كلاهما ساه وساهر

(١) رقا الجفون : سكن دمه

٣ - وقال في الرثاء

يعزّ عل حين أدير عيني أقتش عن مكانك لا أراك
لقد عجّلت عليك يد المنسايا وما أستوفيت حظك من صباكا
فوا أسفى لجسمك كيف يبلى ويذهب بعد بهجته سناكا (١)
ومالى ادّعى أنى وفى ولست مشاركا لك فى بلاكا
تموت وما أموت عليك حزنا وحق هواك خنتك فى هواكا
ويا خجلى إذا قالوا محب ولم أنفعك فى خطب (٢) دهاكا (٣)

(١) سناك : ضوءك

(٢) الخطب : الأمر العظيم

(٣) دهاك : أصابك — والداهية : المصيبة

الكتابة

بلغت الكتابة في العصر الأول على يدى الجاحظ وابن المقفع ، أعلا درجة في البلاغة والقوة - وتصرَّم القرنين الثانى والثالث والأساليب رصينة متينة لم يشبها تكلف ، ولم يفسدها تصنع ، وكأنهم استغنوا بما فيها من جمال ذاتى عن ذلك الجمال المستعار الذى يرجى من وراء المحسنات

أما فى العصر الثانى فقد كان للحضارة الزاهرة التى انغمس فيها الكتاب أثر فى اختلاف الأساليب وانتقال الكتابة الى حال جديدة ، فاصبحوا يتأنقون فيها كما يتأنقون فى لباسهم ورياشهم — وزاد الاختلاط بالأعاجم وتغلغل ثقافتهم معانى والفاظا وأساليب فى الأدب العربى - وهم أهل صناعات وتزويق وتنميق — فكان لذلك أثر آخر لا يقل عن سالفه — ظهر فى هذا العصر واضحا جليا فى الكتابة كما ظهر فى الشعر من قبل وقد يكون اصف الدولة وانقسامها واختلاف أوطانها وأجناسها ، وتباين أذواق ملوكها ، ورعاياها ، أثر ثالث فى ذلك الانقلاب الأدبى الذى طرأ على الكتابة فى ذلك العصر

لهذه الأسباب وأمثالها راجت سوق البديع ونمت أصوله وتعددت مباحثه وبدأ يأخذ قسطه من الوجود فنا مستقلا عن فنون البلاغة الأخرى وتنافس الكتاب فى حذقه وثوشية أساليبهم به — وأصبح للكتاب طريقة خاصة لا يحيدون عنها تختلف فى بدنها وختامها كما تختلف فى نسجها وأغراضها — وإنا مجملون لك هذه الأحوال الجديدة التى طرأت على

(٤٢)

الكتابة هذا العصر — والظواهر التي تجلت في أساليب الكتاب وتميز بها عصرهم فيما يلي

١ — كلف الكتاب بالمحسنات البديعية وأسرفوا فيها من سجع وجناس وتضمنين واقتباس ، وتورية وتوجيه — وعجيب أن تعلم أن سيل هذه المحسنات المتسكفة قد امتد حتى الى الكتابة الديوانية التي هي أغنى ما يكون عنه — كتب أحد الوزراء إلى بعض الولاة

(الزم وفقك الله المنهاج ، واحذر عاقبة الاعوجاج ، واحمل ما يمكن من الدجاج) ولما وصل العامل بالدجاج بيع وسجل ثمنه في دفاتر الدولة باسم (دجاج السجع)

وهذه المحسنات على كثرتها وشيوعها ، في هذا العصر كانت تزيد الأساليب الضعيفة من أصلها ضعفا ولا تؤثر كثيرا في رصينها وجيدها ٢ — كثراقتباس الحكم والأمثال وتضمن الآيات القرآنية والآيات الشعرية وغالوا في ذلك حتى أصبح الشعر في رسائلهم أكثر من النثر .

كتب الهمزاني من رسالة الى الخوارزمي

أنا لقرب دار الأستاذ — كما طرب النشوان مالت به الخمر

ومن الارتياح للقاءه — كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن الامتزاج بولائه — كما التقت الصبهاء والبارد العذب

٣ — أخذ الكتاب عن الأدب الفارسي كثيرا من الأنظمة والاصطلاحات كتشوع البدء والختام ، واختلاف الديباجة باختلاف المرسل إليه — وطول المقدمات ، والاسهاب في أكثر المواضع كما نقلوا عنهم كثيرا من ألقاب التعظيم والتبجيل

٤ — اطلع كثير من الكتاب على مترجم من القصص الفارسية

وأساليها ولم تكن في الأدب العربي من قبل وأجهدوا عقولهم في محاكاتها
فنشأت القصص المطولة المعروفة بالمقامات

وقد ظهر في هذا العصر كثير من أعلام الكتاب كابن العميد —
والبديع — والحوارزمي — والحريري — والصابي — والأصبهاني
بيد أن هؤلاء الكتاب وأمثالهم قد اقتصروا على بعض أنواع الكتابة
فبرعوا فيه وأحسنوه كالكتابة الديوانية — والاخوانية والأدبية — وصرفوا
إليها عنايتهم وهجروا ماعداها من الأنواع — وسندك لك فيما يلي مثلاً
للكتابة في هذا العصر ونعرفك بأشهر كتّابه : —

ابن العميد

هو أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد (١)
ولد سنة ٣٠٠ — وأسرته فارسية مشهورة بمدينة « قم » وكان أبوه من
رجال العلم والسياسة وقد ساهم في بناء مجد بني بويه وساعدهم على تأسيس
دولتهم التي نشأ في أحضانها ولده أبو الفضل

وفي سنة ٣٢٨ تولى الوزارة ، فأظهر من حصافة الرأي ، وحسن التدبير
ما حجب فيه ركن الدولة ، ورفع من مكانته ، عنده — وكان ابن العميد
كيفاً بالبحث والاطلاع لم يدع علماً من العلوم الشائعة في عصره الا اطلع
عليه ولا سيما الفلسفة — والفلك — فاكسب من هذا الاطلاع الواسع
علماً بفنون الكلام ، وخبرة باذواق الناس وما يناسبها من الأساليب ،
وكان له ذوق خاص في الكتابة فأخذ يهذب في العبارات ويجود في
الأساليب وساعده على ذلك رياسته لديوان الانشاء وامتلأ به ذمام

العميد من القاب التعظيم والرياسة عند أهل خراسان

الرسائل في عصره ذلك هو ابن العميد ، الذي ختمت به الكتابة كما بُدئت
بعبد الحميد

والذي كان المتنبي على عظمته وكبريائه واعجابه بنفسه وكثرة ادّعائه
يخشى علمه وأدبه ويحسب لفكرته الوقادة ، وقريحته النقادة الف حساب
توفي سنة ٣٦٠ هجرية .

طريقته في الشرق

كانت عناية الكتّاب في عصر ابن العميد منصرفة إلى الصناعة اللفظية
وهمتهم موجهة الى المحسنات البديعة ، ولو هانت المعاني وتضاءلت الاغراض
فلما جاء ابن العميد وتولى ديوان الرسائل ، اشترع طريقة تجمع بين جزالة
الالفاظ وعدوبتها ، وسمو المعاني ورفعتها ، واتخذ لنفسه ولأتباعه أسلوبا
خاصا لا هو بالسهل المطلق ، ولا بالمصنوع فحسب ولكن وسطا بينهما
وقصدا ، فهي مسجعة قصيرة الفقرات مع تنميق العبارات ، وتزينها بشيء
من المحسنات وتجميلها باقتباس الاشعار المشهورة ، والاحاديث المأثورة ،
والأمثال السائرة ، والآيات القرآنية ؛ والحوادث التاريخية — تلك هي
طريقة ابن العميد التي ذاعت في الشرق وشاعت وأنت ترى أنها تتميز
بأمور منها

١ — استعمال المحسنات البديعية

٢ — الاكثار من السجع القصير الفواصل

٣ — حل الايات الشعرية وتضمين الحكم والأمثال

٤ — الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والاشارة

إلى الحوادث المأثورة والوقائع المشهورة

- ٥ — العناية بالتشبيهات والاستعارات
٦ — إحلل النثر محل الشعر ، في المفارقات والمهاجات والمداعبات
٧ — الاسراف في استعمال ألقاب التفخيم للملوك والوزراء على
على عادة الكتاب الفارسيين

القاضي الفاضل

هو عبد الرحيم بن علي وزير صلاح الدين الأيوبي ورئيس كتاب مصر في عهده ولد بعسقلان ، وكان أبوه بهاء الدين الأشرف قاضياً بها ، وعنه أخذ العلم والادب ثم وفد إلى مصر في أواخر الدولة الفاطمية ، ولزم ابن حديد قاضي الاسكندرية وما زال في صحبته حتى برع في الكتابة ، وذاع فضله فاستقدمه الملك الظافر ، وجعله من كتابه ولما استولى صلاح الدين على مصر جعله وزيراً له وما زال في خدمة أولاده حتى وافته منيته سنة ٥٧٦ هـ وقد عاصر عماد الدين الاصفهاني ، وله رسائل كثيرة ، لم يبق منها غير تنف مشتتة في بعض كتب الادب والتاريخ .

طريقته في الكتابة

كان القاضي الفاضل كثير الاسفار والانتقال بين بلدان الشرق ، وكانت طريقة ابن العميد قد ذاعت قبل ذلك في العراق وما جاورها كما عرفت ، فلما قرأها في كثير من رسائل هذا العصر ، أعجب بها وصمم على ابتكار طريقة جديدة في الكتابة يؤسسها على أصول طريقة ابن العميد — وبدأ يعنى بالسجع والتورية والجناس والاستعارات ، حتى صارت له ، طريقة خاصة في الكتابة عرفت باسمه ونسبت إليه وتميزت هذه الطريقة بأمر منها : —

- ١ — العناية باللفظ أكثر من المعنى
- ٢ — التزام السجع القصير الفقرات
- ٣ — تنميق العبارات وتخيير الجمل والألفاظ .
- ٤ — التكلف في الاستعارات والمجازات
- ٥ — كثرة التضمين والاقتباس للقرآن والحديث والشعر والحكم والأمثال
- ٦ — الاسراف في الجناس والتورية والتوجيه

وإذا كان القاضي الفاضل له من فطرته السليمة ، وخاطره السريع ، وعلمه باللغة وفنونها ، ما يعصم أسلوبه من السقوط والابتدال فقد أسرف الكتاب من بعده على فقدانهم ميزاته وفضائله في محاكاة هذه الطريقة وأساءوا استعمالها حتى صارت الكتابة ضربا من المبالغة في الصناعة — وشغلوا بالألفاظ . وزخارفها عن المعاني وسموها ، فهانت الكتابة على يدهم وأصبحت كالأواني الفارغة لا تحمل معاني ولا تنطوي على أفكار ، وناهيك بجسم لا روح به ، وصدف لا دُرَّ فيه

تأثر الكتاب بطريقتي ابن العميد والقاضي الفاضل

كان لهاتين الطريقتين أثر كبير في الكتابة العربية في ذلك العصر

- ١ — فأما طريقة ابن العميد فقد أعجب بها الكتاب والأدباء لولوعهم بالصناعة اللفظية في تلك الأيام ، وانتشر أسلوبه في العالم العربي ولا سيما بلاد العراق وخراسان ، وماجاورهما من البلدان واتخذها الكتاب من بعده . مثالا احتذوه ونبراسا ساروا في هديه إلى أن بعد بهم الزمان والمكان ، فاختلف عليهم الأمر وضلوا عن سواء السبيل . ومن اتبعها من بعده بديع الزمان الهمزاني — والصابي — والخوارزمي — والحريري في الشرق —

وابن زيدون في الأندلس ولكل واحد من هؤلاء آثار أدبية ، من رسائل ومقامات تتمثل فيها هذه الطريقة وتظهر في وضوح وجلاء .
ب - وأما القاضي الفاضل فقد انتشرت طريقته في عصر اختلفت فيه الأذواق ، وأغرم الناس بالتلاعب بالألفاظ ، وحصرُوا البلاغة فيها فصادت رواجاً واقبالاً ، وصارت في الدولة الأيوبية ثم في دولة المماليك من بعدها مذهباً للكتاب ، يلتزمها ، كبارهم ، ويُنشأ عليها صغارهم وظلت هذه الطريقة ، إلى عصر محمد علي بمصر ، بل امتدت إلى غيرها من البلدان .

العماد الاصبهاني

هو أبو عبد الله محمد الكاتب الاصبهاني صاحب المؤلفات الكثيرة في العلم والأدب ، ولد باصبهان ، ثم قصد المدرسة النظامية ببغداد فشقق فيها وحقق كثيراً من العلوم التي كانت تدرس بها إذذاك — ولما ذاع صيته ولاه الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة البصرة — ثم رحل إلى دمشق فأعجب به السلطان نور الدين فقرّبه وجعله رئيساً لديوان الانشاء وكذلك عطف عليه صلاح الدين بعد ذلك وزاد في إكرامه ، وقد عاصر الاصبهاني القاضي الفاضل ومات سنة ٥٩٧ هـ

وله مؤلفات كثيرة في الأدب والتاريخ أشهرها كتاب خريدة القصر — والفتح القدسي

وإنّا ذا كرون لك مُشْلاًً لطريقتي ابن العميد والقاضي الفاضل متحدثين إليك عن أشهر رجال هاتين الطريقتين .

صور من انشاء

ابن العميد - والقاضي الفاضل - والعماد الاصبهاني

١ - ابن العمير

١ - كتب إلى أحد الخارجين على ركن الدولة يلومه (١) ويهدده كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فانك تُدِلُّ (١) بسالف (٢) حرمة ، وتمت بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول (٣) وخيانة ، وتتبعها بآنف خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يحبط (٤) أعمالك ، ويسحق كل ما يُرعى لك ، لاجرم أنى وقفت بين ميل إليك وميل عليك ، أقدم رجلا لصدك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يدًا لاصطلامك (٥) واجتياحك ، واثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضنًا بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنعة لديك وتأملاً لفيتنك (٦) وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب (٧) العقل ثم يؤوب ويعزب اللب ثم يشوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يُستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة (٨) إلى انجلاء . وسأقيم على رسمى في الاتعداد والمماطلة ما صالح ، وعلى

(١) الادلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه (٢) - تمت : تتوسل وتتصل (٣) - الغلول : الخيانة (٤) - يحبط : يبطل (٥) - الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح (٦) - لفيتك : لرجوعك الى الطاعة (٧) - يغرب : يذهب ويعزب ، يغيب ويزول (٨) - الغمرة : التغطية بالماء والمراد هنا الشدة

الاستبقاء (١) والمطاولة ما أمكن ، طمعاً في إنباتك ، وتحكماً لحسن الظن بك ،
فلمست أعدم فيما أظاھر من إغذار (٢) ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك ،
واستدراكاً لك ، فان يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسدك ،
فانه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير

ب — وكتب إلى عضد الدولة يهنئه بمولودين

اطال الله بقاء الامير الأجل . عضد الدولة ، وادام عزه وتأيدته ،
وعلوه وتمهيدته (٢) وبسطته وتوطيده (٣) وظاهر له من كل خير مزیده (٤)
وهنا ما احتظاه به على قرب الميلاد (٥) من توافر الاعداد (٦) وتكثير
الامداد (٧) ، وتثمر الاولاد (٨) ، واره من النجاة (٩) ، في البنين
والاسباط (١٠) ، ما اراه من الكرم في الآباء والاجداد ، ولا اخلى عينه
من قرة (١١) ونفسه من مسرة ، ومتجدد نعمة ، ومستأنف (١٢) مكرمة ،
وزيادة في عدده ، وفسح في امره (١٣) ، حتى يبلغ غاية منهله (١٤) ويستغرق
نهاية أمله (١٥) ، ويستوفي ما بعد حسن ظنه (١٦) ، وعرفه الله السعادة فيما
بشر عبده ، من طلوع بدرين هما ، انبعثا (١٧) من نوره ، واستنارا من

-
- (١) - الاستبقاء : الانتظار (٢) - اعزاز : المراد من عمل ينفي عذرك ويكفل
الرضاعك . (٣) تمكين ملكه وسعته (٤) البسطة - سعة - الملك والتوطيد الثبوت
والتكئين . (٥) ظاهر : قوى وضاعف والمراد : تابع له النعم والخيرات الوافرة
(٦) احتظاه . خصه والمراد صغرسنه (٧) كثرة عددهم (٨) كثرة الاعوان والامداد :
جمع مود وهو النصير من جيش وولد ونحوهما (٩) تكثير عددهم بزرارهم
(١٠) النباهة والنجاح (١١) جمع سبط وهو ولد الوالد (١٢) سرور — يقال في السرور
« قرت عينه » أي بردت (١٣) امتداد في غايته والمراد طول العمر
(١٤) المنهل : مورد الماء والمراد حتى يرد موارد الشرف فيبلغ الغاية منها
(١٥) يستوفي آماله كلها (١٦) ينال أكثر ما قدر لنفسه من الأمانى المرجوة
(١٧) ظهرا

جوره (١) ، وحفاً بسريره (٢) ، وجعل وفدهما متلائمين (٣) ، ووردهما توأمين (٤) ، بشيرين بتظاهر (٥) النعم ، وتوافر القسم (٦) ، ومؤذنين (٧) بترادف (٨) بنين ، يجمعهم منخرق (٩) الفضاء ، ويشرق بنورهم أفق العلاء ، وينتهي بهم أمد السماء (١٠) ؛ الى غاية تفوت غاية الاحصاء ، ولا زالت السبيل عامرة ، والمناهل غامرة (١١) ، بصفائح صادرهم بالبشر (١٢) ، وآمالهم بالنبل (١٣)

٣ — القاضى الفاضل

١ — كتب إلى عبد الرحيم اليبسافى يصف له مدينة بديار بكر تسمى (آمد) (١٤) وآمد ذكرها بين العالم ، (١٥) متعالم وطالم الماصدم جانبها من تقادم (١٦) ، فرجع عنها مقدوعا (١٧) انفه وان كان فخلاً ، وفر عنها فريدا بهممه وان استصحب خيلاً ورّجلاً (١٨)

(١) جمع دارة وهي الهالة المحيطة بالقمر والمراد استمداد ضوءها بما يحيط بوجهه من الاشراق (٢) أحاطا به (٣) متوافقين (٤) التوأم ما ولد مع غيره في بطن واحدة (٥) تتابع (٦) جمع قسمة والمراد بها النصيب والحظ (٧) مخبرين (٨) تتابع (٩) الفضاء الواسع الذى تخترقه الرياح (١٠) غاية الزيادة (١١) مغمورة ممتلئة (١٢) بوجوه من يعودون مستبشرين بما نالوا من عطايم (١٣) الزاهيين اليهم يرجون نوالهم (١٤) بلدة قديمة خصبة مبنية على نشز من الأرض تعد من أكبر مدن إقليم بديار بكر وتسمى الآن بديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر . والهضبة التى بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك (قره آمد) أى آمد السوداء (١٥) متعالم معروف ومشهور (١٦) أى من تقادم من الفاتحين (١٧) قدع انف الفحل ضرب أنفه ليكفه عن النوق اذا كان غير كريم خشية أن تلد منه غير نجائب (١٨) الخيل هنا : الفرسان . والرجل ، الرجلة (البيادة)

ورأى حجرها فقدّر انه لا يُفكّ له حجر (١) ، وسوادها (٢) فظن انه لا ينسخه فجر ، وحمية أنف أنفتها فاعتقد انه لا يستجيب لزجر : من ملوك كلهم قد طوى صدره على الغليل (٣) الى موردها ، ووقف المحب السائل فلم يفز بما أمّل من سؤال معمدّها

ب - وكتب الى الملك العادل يعزّيه في فقيد مات له .

ادام الله سلطان مولانا العادل ، وبارك في عمره ، وأعلى أمره بأمره ، وأعز نصر الاسلام بنصره ، وفدته الانفس الكريمة ، وأصغر الله العظام في نعمته العظيمة ، واحياه الله حياة طيبة يقف هو فيها والاسلام في مواقف السلام الجسيمة ، وينقلب عنها بالأمور المسلية والعواقب السليمة ، ولا نقص له رجالا ولا أعدداً ، ولا أعدمه نفسا ولا ولداً ، ولا قصّر له ذيلاً ولا يداً ، ولا كدّر له خاطراً ولا مورداً ، ولمّا قدر الله ما قدر في الملك العزيز ، رحمة الله عليه وتحياته مكررة إليه ، من انقضاء مهله وحضور أجله ، كانت بديهة (٤) المصاب عظيمة ، وطالعة المكروه ألّية ، فرحم الله ذلك الوجه ونضّره ثم الى الجنة يسّره

واذا محاسن اوجه بليتّ فعفا الثرى عن وجهه الحسن

٣ - العماد الصبراني

١ - كتب العماد منشوراً عن لسان الملك العادل نور الدين لاتخاذ الحمام وتدريبه على الطيران لنقل الكتب هي برائد الانباء المخصوصات بفضيلة الالهام والايحاء وهي فيوج

(١) في الحجر هنا تورية من الحجر بمعنى الحبس والحصار ، أو بمعنى الحجر على السفينة ومنعه من التصرف في ماله (٢) وسوادها : أى سواد هضبتها المبنية هي عليها (٣) الغليل : يريد التعطش الى موردها أى فتحها . (٤) بده الرجل بغته وفاجأه

(١) الرسائل المأمونة الإبطاء ، والسابقات الهوج (٢) في الاهتمام والحاملات ملطّفات الأسرار في أقرب مدة إلى أبعد غاية والموصلات مهمات الأخبار في وقتها من أقاصى الأمصار بأ كل هداية والقاطعات في ساعتها إلى البلاد أجواز القضاء (٣) والموامى (٤) والنافذات بنجح المرامى ، وهى تطوى الفراسخ البعيدة والأشواط في ساعة وتنتهى إلى أقصى عنايات الطاعة . بآتم استطاعة . وقد عم بها نفع المرابطين والغزاة والمجاهدين في سبيل الله ، في اهداء أخبار الكفرة إليهم في أما كنهم ، دالة على مكايدها ومكائدها ، طائرة بكتبهم إلى من وراءهم من الطلائع والسرايا ، مظهرة لهم من أحوالها خبايا الأمور الخفايا ، وإنها ليمونة المطار مأمونة العثار سالمة على الأخطار مهديّة في الأسفار ، أمينة على الأسرار ، سابقة إلى الأوكار ، صادرة بالأوطار (٥) من الأقطار .

ب — وكتب في رثاء القاضى الفاضل : —

رب القلم والبيان ، واللسن واللسان ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والبديهة المعجزة ، والبديعة المطرّزة ، والفضل الذى ما سمع له بمماثل فى الأوائل ، بمن لو عاش فى زمانه لتعلق بغباره ، أو جرى فى مضماره . فهو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع ، ورسخت بها الصنائع . يخترع الأفكار ، ويفترع الابتكار ، ويطلع الأنوار ، ويبدع الأزهار ، وهو ضابط الملك بآرائه ، ورباط السبل بآلائه ، إن شاء أنشأ فى يوم واحد بل فى ساعة ما لو دُوّن لكان لأهل الصناعة ، خير بضاعة ، أين قس فى مقام فصاحته ، وحاتم وعمر فى سماحته ، وفضله بالافضل جال ، ونجم قبوله فى أفق الاقبال عال ، لا من فى فعله ، ولا ممين فى قوله ، ولا خلف فى وعده ، ولا ببطه فى رفده .

(١) الفيوج : جمع فوج وهو الجماعة (٢) والهوج : الرياح الشديدة مفردا هوجاء (٣) أجواز الفضاء : انحأوه (٤) الموامى : جمع مومة وهى الصحراء (٥) الوطر الحاجة :

المقامات

في العصر العباسي الأول اختلط الفرس بالعرب ودخل كثير من ناشئتهم في الاسلام حبا فيه أو طمعا في مال ، أو منصب أو جاه ، واشتغلوا بالكتابة في دواوين الخلفاء ، لجهل العرب بصناعتها ، إذ ذاك

وكان من أشهر هؤلاء الكتاب ابن المقفع ، وسهل بن هارون ، وابن عبيد الرياحي ، وعلي يد هؤلاء وأمثالهم دخل كثير من خيال الفرس ومعانيهم وأساليبهم ، وظهر أثر ذلك كله في الكتابة العربية ، واضحا جليا — بيد أن النثر ظل في مجموعه ، إلى أوائل القرن الرابع خاليا من القصص مقصوراً على الفصول الأدبية ، والرسائل الإخوانية وكتابة الدواوين ،

أما في العصر الثاني فقد زاد الاختلاط وكثر الامتزاج ، بالمعاشرة والمصاهرة ، وتوغل العرب في بلاد الفرس وجاسوا خلال القرى والمدن ، واتصلوا بالحياة الاجتماعية عن كثب وسموا أقاصيص العامة من الفرس ، وأحاديث الدهماء عن بعض رجالهم ، وعرفوا كيف ينمقون هذه القصص مستعينين بالخيال حيناً وبالمحسنات اللفظية أحياناً - وكان من هؤلاء العرب من يجيد الفارسية ، ويكلف بأخبارها ، فأخذوا في محاكاة هذه الأقاصيص ونقلها إلى العربية فكانت القصص المعروفة بالمقامات - وأصل المقامة في اللغة ، مجلس القوم وجماعة الناس ، ثم أطلقت في العصر الأول ، من طريق المجاز ، على ما يحكى في هذه المجالس من السير والقصص ، ويكسب سامعيه علماً وأدباً ، وأول من ألف في ذلك ابن دريد — فقد كتب أربعين حديثاً ، صور فيها مآرآه ، وما سمعه في مجالس الناس ومجتمعاتهم .

ثم جاء بديع الزمان الهمزاني واقتفى أثر ابن دريد ، مع اختلاف
في الأسلوب وعناية بتخير العبارات - وعلى طريقته سار فارس هذا الميدان
أبو محمد الحريري ، ثم أبو القاسم الزمخشري من بعده ، ويعتبر هؤلاء الثلاثة
أئمة هذه الطريقة ، وعلى أثرهم سار كثير من الكتّاب في مصر والشام ،
إلا أنهم لم يبلغوا شأوهم

وأسلوب المقامات يتميز باشتاله على قصص ووصف لأحوال الناس
واخلاقيهم مع الإشارة الى بعض الاماكن والحوادث ، وللخيال وحسن
الديباجة ، ورقة الأسلوب فيها المكان الاول .

ولعل الغرض من إنشاء هذه المقامات ؛ هو جمع شوارد اللغة ودرر الألفاظ
وغرر التراكيب وفرائد الأساليب ولو لم تطفح عليها المحسنات البديعية
ولاسيما السجع والتورية والجناس ؛ لكان لها في ترقية النثر ، ورفع منزلة
الكتابة شأن آخر

أشهر رجال المقامات

بديع الزمان — الحريري

١ - بديع الزمان الهمزاني

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب
ببديع الزمان ولد في همزان ، مدينة بأفغانستان ، وحقق اللغة العربية وأتقن الفارسية
ولزم على بن فارس ثم صاحب بن عباد ، حتى امتاح ما عندهما من علم وأدب ،
ثم رحل إلى جورجان ، واتصل فيها بأفاضل العلماء ؛ وأخذ عنهم وقبس من
آدابهم ، وما زال يتنقل في خراسان حتى انتهى به المطاف إلى نيسابور ، وفيها
التقى بالخوارزمي ، حيث نشبت بينهما مناظرة ، هبت على أثرها رياح سعوذه
فداع صيته وطبق الخافقين ذكره ، وفيها أملى مقاماته ، التي تتدارسها اليوم

واشتهر بقوة الحافظة ، حتى قيل إنه كان يسمع القصيدة التي تربوا على الخسین .
بيتاً لأول مرة فيحفظها ويؤديها كما سمعها - ومقاماته قليلة التكلف مسجوعة
قصيرة الفقرات ، تصف ما كان شائعاً في عصره من التسول والاستجداء ،
وهي وان كانت معزوة الى رجل خيالي سماه عيسى بن هشام ، فانها تصف
حاله وتصور حياته التي قضاها في التجوال والترحال ، وقد مات البديع
في سنة ٣٩٣ هـ

ب - الحريري

هو أبو محمد القاسم ابن علي بن عثمان الحريري ولد سنة ٤٤٦ هـ ببلدة قريبة
من البصرة تسمى مشان وأكب من صغره على الأدب ، وانقطع إلى الاشتغال
بالعلوم وكان موسراً ، فأقام في البصرة ولزم علماءها وأدباءها حتى صار
فريداً في بابته ، ونسل إليه الطلاب من كل حدب ، على دمامته وسوء خلقه .

ومقاماته التي وصف فيها أحوال الناس ولا سيما الأدباء وصوّر طباعهم
وأخلاقهم وجمع فيها كثيراً من الألفاظ العالية ، والأمثال الرائعة والحكم
البالغة ، تنطق بفضله وتشهد بمكانته من اللغة ، ومنزلته من الأدب العربي ،
نظمه ونثره ، وقد نحى في هذه المقامات ، منحى البديع ، واتخذ أستاذاً في
نسخها ، وكان أعلم منه باللغة فجاءت مقاماته في مجموعها معجماً حافلاً ، بلطائف
اللغة وشواردها — ولا تزال إلى اليوم مثال السكال ؛ في هذا النوع
من الكلام .

ومن مؤلفاته درة الغواص ، في أوهاام الخواص ، وتبحث فيما يظنه الناس
خطأً وهو صواب ، وقد شرحها الخفاجي — ثم ملحّة الاعراب وهي أرجوزة
شرحها الحضرمي ومقاماته وسندك لك مثالا منها

مختار من المقامة العلمية

بدرع الزمان الهزاني

حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت في بعض مطارح الغربة (١) مجتازاً (٢) فإذا أنا برجل يقول لآخر : بم أدركت العلم ، وهو يُجيبه : طلبته فوجدته بعيد المرام ، لا يُصطاد بالسهم ، ولا يقسم بالأزلام (٣) ولا يُرى في المنام ، ولا يضبط باللباس ، ولا يُورث عن الأعمام ، ولا يستعار من الكرام فتوسّلت إليه بافتراش المدر (٤) واستناد الحجر ، وردّ الضّجر ، وركوب الخطر ، وإدمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر وجدته شيئاً لا يصلح إلا للغرس ، ولا يغرس إلا في النفس ، وصيداً لا يقع إلا في التّدر (٥) ولا ينشِبُ (٦) إلا في الصدر (٧) ، وطائراً لا يتخذُ معه إلا قصص اللفظ ، ولا يعلقه إلا شرك الحفظ فحملته على الروح ، وحبسته على العين ، (٨) وأنفقت من العيش وخزنت في القلب ، وحررت (٩) بالدرس ، واستعنت في ذلك بالتوفيق ، إلى التحقيق ؛ ومن التحقيق إلى التعليق ، واستعنت في ذلك بالتوفيق ، فسمعت من الكلام ما فُتق (١٠) السمع ، ووصل إلى القلب ، وتغلغل في الصدر

(١) مطارح الغربة أي بعض المواضع التي رمانى فيها البعد عن أوطان (٢) ماراً (٣) أقداح كانت العرب تستعمل بعضها لمعرفة ما في الغيب ، والبعض الآخر تستعمله في الميسر (٤) هو الطين اليابس وهذا وما بعده كناية عن خشونة العيش في طلب العلم (٥) النادر (٦) يعلق (٧) المراد به العقل (٨) أي منعه مفارقتها (٩) حرر المسائل خلصها من الشبهات بكثرة الدرس (١٠) فتق السمع : شقه ، والمراد هنا فذمته إلى القلب

مختار من المقامة الاسكندرية

للعمري

قال الحارث بن همام طحا (١) نى مرح (٢) الشباب ،
وهوى الاكتساب (٣) إلى أن جبت (٤) ما بين فرغانة (٥) وغانة (٦) ؛
أخوض الغمار (٧) ، لأجنى الثمار ، وأفتح (٨) الأخطار ، لكى أدرك
الأوطار (٩) ، وكنت لقفت (١٠) من أفواه العلماء ، وثقفت (١١) من
وصايا الحكماء ، أنه يلزم الأديب الأريب (١٢) ، إذا دخل البلد الغريب
أن يستميل قاضيه (١٣) ، ويستخلص (١٤) مراضيه (١٥) ، ليشتد ظهره
عند الخصام ، ويأمن فى الغربة جور الحكماء ، فأتخذت هذا الأدب
(١٦) اماما (١٧) ، وجعلته لمصالحى زماما ، فمادخلت مدينة ، ولا أوجلت (١٨)

(١) ذهب إلى (٢) هو النشاط وشدة الفرح (٣) أى حجة اكتساب المال
(٤) قطعت (٥) بلد بأقصى بلاد المشرق (٦) بلد بأقصى بلاد المغرب (٧) بالكسر
جمع غمرة وهى الكثير من الماء والمراد هنا الأمور الصعبة (٨) أى دخل فى القحمة
بالضم وهى الشدة — والاطار الأمور العظيمة (٩) الحاجات (١٠) بكسر القاف أخذت
بسرعة وحفظت (١١) أدركت (١٢) العاقل (١٣) يرغبه ويتراضاه ويطلب ميسله
إليه (١٤) يطلب (١٥) أى رضاه (١٦) أى الأمر الظريف المستحسن (١٧) يعنى
قدوة أعمل بمقتضاه (١٨) دخلت

(٥)

عَرَيْنَهُ (١) ، الا وامتزجت (٢) بحاكمها امتزاج (٣) الماء بالراح ،
وتَقَوَّتْ بِعَيْنَيْهِ (٤) تقوى الأجساد بالأرواح ، فبينما أنا عند حاكم
الاسكندرية (٥) ، فى عَشِيَّةِ عَرِيَّةٍ (٦) ، وقد أحضر مال الصدقات ،
لِيَفِضَهُ (٧) على ذوى الفاقات (٨) ، إذ دخل شيخ عَفْرِيَةٍ (٩) ،
تَعْتَلُهُ (١٠) امرأةٌ مُصِيبَةٍ (١١) ، فقالت أَيْدِ (١٢) الله القاضى ، وأدام به
التراضى (١٣) ، إني امرأةٌ من أكرم جرثومة (١٤) ، وأطهر أرومة (١٥)
وأشرف خُوْلَةٍ (١٦) وعمومَةٍ (١٧) ، ميسمى (١٨) الصَّوْنُ (١٩) ،
وشيمتِ (٢٠) الهَوْنُ (٢١) ، وخلقِ نِعْمَ العَوْنُ (٢٢) ، وبينى وبين جارأتى
بون (٢٣) ، وكان أبى إذا خطبني بُنَاةٌ (٢٤) المجد (٢٥) ، وأرباب

(١) مأوى الأسد (٢) أى اختلطت (٣) اختلاط (٤) محافظته اهتمامه
(٥) مدينة معروفة وهى أشهر ثغور مصر بناها الاسكندر (٦) أى شديد البرد أو
ذات ريح باردة (٧) يفرقه (٨) أى الفقراء المحتاجين (٩) أى خبيث شديد الدهاء
(١٠) تجره بعنف وجفاء (١١) أى ذات صبيان (١٢) قوى ونصر (١٣) أراد
التراضى بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه بين الغالب والمغلوب (١٤) أى أصل
(١٥) الأرومة بالفتح أصل الشجرة ثم استعير لأصل الحسب (١٦) جمع خال
(١٧) جمع عم (١٨) علامتى وأصل الميسم الآلة التى يكوى بها ويعلم (١٩) الحفظ
والعفاف (٢٠) خلقى وعادنى (٢١) الرفق (٢٢) أى الرفيق الظهير (٢٣) أى فرق
وتفاوت فى الفضل (٢٤) بالضم جمع بان (٢٥) الشرف والمراد اصحاب الشرف والرفعة

الجد (١) ، سَكَتَهُمْ (٢) وَبَكَتَهُمْ (٣) ، وَعَافَ وَصَلَتْهُمْ (٤) وَصَلَتْهُمْ (٥) ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَلْفِهِ (٦) ، أَنَّهُ لَا يُصَاحِرُ (٧) غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ (٨) ، فَتَمَيَّضَ (٩) الْقَدْرُ وَلَنَصَبِي (١٠) ، وَوَصَّي (١١) ، أَنِ حَضَرَ هَذَا الْخَدْعَةُ (١٢) ، نَادَى ابْنِي (١٣) ، فَاقْصِمْ بَيْنَ رَهْطِهِ (١٤) ، إِنَّهُ وَفَّقَ شَرْطَهُ ، وَادَّعَى أَنَّهُ طَالَمَا نَظَّمَ دُرَّهُ إِلَى دُرِّهِ (١٥) فَبَاعَهُمَا بِدُرِّهِ (١٦) فَاغْتَرَّ ابْنِي بِزُخْرَفَةِ مُحَالِهِ (١٧) وَزَوْجْنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ ، فَلَمَّا إِسْتَخْرَجْنِي مِنْ كِنَاسِي (١٨) ، وَرَحَلَنِي (١٩) عَنْ أَنَاسِي (٢٠) ، وَنَقَلَنِي إِلَى كِسْرِهِ (٢١) وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أَسْرِهِ (٢٢) ، وَجَدْتُهُ قَعْدَةً (٢٣) جُثْمَةً (٢٤) ، وَأَلْفَيْتُهُ مُضْجَعَةً (٢٥) نُؤْمَةً (٢٦) ، وَكُنْتُ صَحْبَتَهُ بِرِيَاشٍ (٢٧) وَزَى (٢٨) ،

(١) اصحاب الغنى (٢) أى قال لهم كلاما لا يجدون له جوابا (٣) الزهم الحجة (٤) أى كره قريتهم (٥) أى عطائهم (٦) أى يمين (٧) أى لا يزوج ابنته (٨) صناعة (٩) يعنى قدر الله تعالى (١٠) تعنى (١١) مرضى (١٢) أى كثير الخداع (١٣) مجلس أبى (١٤) قومه وعشيرته (١٥) أى جوهرة الى جوهرة (١٦) البدره عشرة آلاف درهم (١٧) يقال زخرف الباطل حسنه وزينه وأصل الزخرف الذهب ثم أطلقوا على كل مزين مزخرفا (١٨) أى منزلى وأصله بيت الظبي أو بقر الوحش (١٩) نقلنى (٢٠) اهلى (٢١) بفتح الكاف وكسرهما أى جانب بيته (٢٢) قيده وحبسه (٢٣) كثير القعود (٢٤) كثير الجثوم أى يلزم الموضع الذى يقعد فيه (٢٥) أصله العاجز الذى لا يتصرف (٢٦) كثير النوم (٢٧) مال ولباس فاخر (٢٨) يعنى هيئة حسنة

وأثاث (١) ورى (٢) ، فما برح يبيعه في سوق الهضم (٣) ، ويتلف
 ثمثه في الخضم (٤) والقضم (٥) ، إلى ان مزق مالى (٦) بأسره (٧) ،
 وأنفق مالى فى عُسره (٨) فلما أنساني طعم الراحة (٩) ، وغادر (١٠) بيتى
 أنقى من الراحة (١١) قدته (١٢) إليك ، وأحضرتك لديك ، لتعجم (١٣)
 عود دعواه . وتحكم بيننا بما أراك الله (١٤)

(١) هو متاع البيت (٢) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء فى الأصل
 اسم من روى يروى ربا بالفتح (٣) الكسر والمراد يبيعه بأقل من قيمته (٤)
 الأكل بجميع النعم (٥) الأكل باطراف الأسنان وقيل الخضم الأكل باطراف
 الأسنان والقضم بمقدمها وقيل الخضم أكل الرطب والقضم أكل اليابس تريد أنه
 يصرف ثمثه فى أنواع الأكل واللذات (٦) أى فرق الذى لى (٧) جميعه وأنفق
 مالى أى ما أملكه من المال وفى نسخة وأنفقه (٨) فى قلة ذات يده (٩) حلالة
 الاستراحة (١٠) ترك (١١) بطن الكف لنقائه من الشعر (١٢) أى جذبتة
 وأتيت به (١٣) لنقص والمراد تختبر (١٤) بعلمك

التأليف

نهضته — أسباب رقيه

عرفت أن الدولة العباسية هي دولة العلم والأدب ، وأن عصرها هو عصر التأليف والتصنيف ، وعلمت ما كان من عطف المنصور والرشد والمأمون ، على العلم وأهله ، وحبهم على المؤلفين واستقدامهم إياهم من أطراف الممالك وإكرامهم واغرائهم بالعطاء .

ونريد هنا أن تعلم أن هذه النهضة التأليفية التي غرسوها وسقّوها بأموالهم وتشجيعهم ، لم يكتمل نضجها ولم تثور ثمارها حلوة شبيهة ، إلا في هذا العصر التي تفرعت فيه الدولة العباسية ، إلى دول وإمارات ، ظهرت آثار النهضة في كل منها ، مصطبغة بلون المكان والسكان — وقد كان من حسن حظ هذه النهضة أن الذين ورثوها من الدول الجديدة قدروها وأولوها عنايتهم ، وبنوا عليها مجدهم ، فانتعشت في مختلف أوطانها ، وبسم لها الزمان في كل مكان ، وإذا كان لها نصير واحد في بغداد ، وهو الخليفة — فقد أصبح لها في كل دولة نصراء من ملوك وأمرأ ووزراء

وأمدّها العصر بمدد من المؤلفين جديدي ، فاشترك فيها الترك والديلم والروم وغيرهم ممن دخلوا في الاسلام — وهكذا انتشرت العلوم وأصبحت للكتب سوق رائجة يتنافس الملوك في جمعها ، ويتنافس العلماء في تأليفها وتهذيبها — وظهرت كثير من الموسوعات في كل فنّ ووضعت مؤلفات مستقلة ، في علوم جديدة لم تكن من قبل ، كالسياسة والاقتصاد وعلم العمران .

وقد رأيت فيما أسلفناه لك كيف كانت دولة بنى بويه فى العراق وفارس تعطف على العلم وأهله ، وأن من وزرائها ، الصاحب ابن عباد وابن العميد وانت خبير بمكانة كل منهما فى الأدب — كما كان من ملوكها عضد الدولة الذى ألفت له ، كبار الكتب ، فى النحو والسير والتاريخ — وكيف كانت بخارى عاصمة العلماء والأدباء ، ومن مكتبتها الواسعة استقى الفيلسوف الكبير ابن سينا كثيرا من علمه فى الطب والفلسفة .

وكان بنو حمدان فى الشام ، يأوى إليهم من المؤلفون ، ويقصدهم العلماء من كل صوب ، وقد وفد على سيف الدولة الفيلسوف الفارابى والمالم المشهور ابن جنى ، فأكرم وفادتهما وانتفع بعلمهما

وكذلك كان الفاطميون بمصر ينشئون المكاتب ويبدلون المال عن سرف ، فى تشجيع العلماء وإغراء المترجمين والمؤلفين فى كل فن ولا سيما فى علوم الفقه والحديث وعلوم الفلك والنجوم ، وقد ظل مرصدهم الذى بناه الحاكم على جبل المقطم عمدة الراصدين ، حتى بنى الطوسى مرصده بتركستان سنة ٦٥٧ هـ

لذلك لانسكون مباليغين اذا قلنا ثمة كما قلنا من قبل إن انقسام الدولة العباسية ، قد أفاد اللغة وآدابها وان هذا الضعف الذى عراها فى آخر أيامها قد استحال قوة ونشاطا فى أدبها ، وعاد بالخير على التدوين والتأليف والتصنيف — واذا كان التأليف فى العصر الأول مقصورا فى الغالب على الترجمة والنقل ؛ فقد صار فى هذا العصر وضعاً وابتكاراً ، وتهذيباً وتصحيحاً .

وإنما يحملون لك أسباب هذا الرقي ، الذي تناول التأليف هذا العصر فيما يلي :

(١) تنافس ملوك الدول التي انقسمت إليها الدولة العباسية في تشجيع العلماء وإغراء المؤلفين بالمال

(٢) انتشار المكاتب وتقدير الملوك والوزراء للكتب والناس على دين ملوكهم

(٣) كثرة اختلاط العرب بالأعاجم على اختلاف أجناسهم — واتصالهم بحياتهم العقلية أحدث في نفوسهم ميلا إلى محاكاة فنونهم وصناعاتهم التي من أهمها الكتابة

(٤) نبوغ كثير من المؤلفين الذين نبغوا في العصر الأول في اللغة العربية واستطاعتهم الترجمة والتأليف بها

(٥) قوة النقد التي أفادها العلماء من اطلاعهم على ثقافة الأمم الأخرى وآدابهم التي ترجمت في العصر الأول

العلوم التي تناولها التأليف

وأشهر المؤلفات في هذا العصر

في هذا العصر الذي نحن بصددده كثر المشتغلون بالعلم والآداب في جميع الممالك الإسلامية وانتشروا في العراق وفارس ومصر والشام وتونس والجزائر ومراكش والأندلس وانتسب كل مؤلف أو عالم إلى وطنه فسمعنا بالبخاري والنيسابوري والرازي والبغدادى والأندلسي بعد أن كانوا ينسبون إلى جنسهم أو صناعتهم .

وتميز عصرهم بالموضوعات الشاملة لكثير من العلوم وتناول التأليف علومها وضعت نواتها في العصر الأول فذهبها العلماء وبوبوها وضاعفوا بحوثها كما تناول علومها جديدة لم تكن من قبل كالنقد والسياسة والفلاحة والعمران وطرق التجارة وإنا ذا كرون لك فيما يلي أشهر المؤلفات التي وضعت في هذا العصر وأهم العلوم التي تناولها التأليف

١- العلوم الدينية

١- التفسير - والحديث

وضعت نواة هذين العلمين في العصر الأول فألف ابن جرير الطبري في التفسير ثم جاء العصر الثاني فظهر تفسير الكشاف للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وفيه تعرض لما في القرآن من بيان وبديع - وكتاب الكشاف والبيان لأبي إسحق الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ نحي فيه منحي القصص والاستطراد ،

أما الحديث فان كتبه كان قد تم وضعها قبل ذلك فعنى علماء هذا العصر بترتيب الأحاديث ودراسة الأسانيد وألفوا في ذلك مؤلفات كثيرة من أشهرها تجريد صحاح السنة للعبدري المتوفى سنة ٥٥٨ هـ وجامع الأصول لابن الأثير المتوفى سنة ٥٢٩ هـ

ب - علم الفقه

كان لا انتشار المذاهب الأربعة في الأمصار وتعصب كل مصر لمذهبه ومجادلته عنه أن كثر المؤلفون في كل مذهب فصنف الماوردي مطوله الذي سماه (الحاوي) في مذهب الشافعي - وصنف القدوري

(المختصر) في مذهب (الحنفية) - وصنف ابن اسحاق الجندی كتابه
(المختصر) في فروع المالكية - وصنف الخرقى (المختصر في فروع الحنابلة)

ج - علم الكلام

أما علم الكلام فقد انتشر على أثر تسرب الفلسفة
إلى المذاهب الدينية إذ انقسم المسلمون تبعاً لذلك إلى مذاهب كلامية من
شيعة ، ومعتزلة ، وأهل سنة وخوارج .

وأشهر مؤلفات هذا العصر في ذلك الفن أحياء العلوم للغزالي المتوفى
سنة ٤٥٠ هـ - والبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان للفخر
الرازي المتوفى سنة ٦٠٦

٢ - العلوم اللسانية

١ - متن اللغة

كان تدوين اللغة في العصر الأول مقصوراً على ما يسمع
من أهل البادية حين يفدون على الحواضر أو يفد عليهم العلماء لهذه الغاية
في مقامهم بالبادية وكل المؤلفات التي ظهرت عهدئذ لا تتجاوز مجموعات من
الكلمات العربية موضوعة في غير ترتيب ولا نظام

أما في العصر الثاني فقد نظمت هذه المجموعات ووضعت مؤلفات جديدة
على نسق يسهل معه الاطلاع والفهم وكما ألفت معاجم تبحث في معاني
الألفاظ مرتبة على الحروف الهجائية كذلك ألفت موسوعات تبحث عن
ألفاظ لما في الأذهان من معان وأفكار

وأشهر مؤلفات هذا العصر الصحاح للجوهري المتوفى سنة ٣٩٨ - وقد

دراعى فيه أواخر الكلمات — وأساس البلاغة للزحشرى المتوفى سنة ٨٣٨ هـ
وقد روعيت فيه أوائل الكلمات كما فعل صاحب المصباح المنير وصاحب
مختار الصحاح فى عصرنا الحاضر — والمخصص لابن سيدة المتوفى سنة ٤٥٨ هـ
ويبحث لكل معنى عما يختص به من الألفاظ

ب - الأدب

مضى العصر الأول وليس فيه إلا ما جمعه الجاحظ والمبرد
وأمثالهما من أخبار العرب وأشعارهم ودونوه على غير نظام

فلما جاء العصر الثانى مال العلماء إلى تدوين أخبار الشعراء والكتاب ، فى
تفصيل وإسهاب ، على نحو ما يفعل مؤلفوا العصر الحاضر سوى أن مؤلفاتهم
أصطبغت بشيء من الفلسفة

وقد نمت فى المؤلفين إذ ذاك ملكة النقد والموازنة فألفوا كتباً خاصة
فى نقد الشعراء من أشهرها الموازنة بين أبى تمام والبحترى للامدى المتوفى
سنة ٣٧١ — والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ
ومن الموسوعات الأدبية الجامعة التى ألفت فى هذا العصر كتاب
الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى المتوفى سنة ٣٥٦ ويقع فى واحد وعشرين
جزءاً جمعه صاحبه فى خمسين سنة وذكر فيه مئات من الشعراء ونماذج من
أشعارهم وحسبك أن تعلم أن الصاحب بن عباد قد استغنى به عن حمل ثلاثين
جلامن الأسفار — ولا يحول فى رأينا بين المبتدئين فى الأدب وبين الاستفادة
منه الا تسلسله الطويل وأسانيده المملة التى تنفع المؤرخ المحقق أكثر مما تنفع
الأدباء الشادى

ويقيم الدهر للشعالي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ وتبحث في تراجم الشعراء في القرن الرابع بايجاز ثم تتبعها بمختار من أشعارهم

وعلى نسقه ألفت كثير من الكتب التي تعتبر في مجموعها تكملة له —
كدمية العصر — وزينة الدهر — وخريدة القصر —

ثم انفتح بعد ذلك باب التأليف في الأدب على مصراعيه وكثر المؤلفون في الشرق والغرب

فألفت الزخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام — وقلائد العقيان في ترجمة شعراء المغرب للفتح ابن خاقان — والمجموعات الأندلسية في شعراء الأندلس لليسقى

ومن المؤلفات الأدبية كتب المقامات وقد وقفناك على شيء منها —
والقصص وأشهرها (الف ليلة وليلة) وهي مجموعة قصص مسلية يعتمد فيها على الخيال الاستطارد، وتقع في بضعة آلاف صفحة ولها في الفارسية أصول أربع نقلها عنها المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

ومازال المؤرخون والقصاص يغيرون فيها ويضيفون، ويزيدون حتى كادت تصبح كتابا آخر يختلف عن أصله الذي نقل عنه

ج - النحو :

جاء هذا العصر وللنحو مدارس في الكوفة والبصرة ولعلماء كل من المصريين مذهب فيه وإن كان أكثر ما بأيدينا من مصنفات النحو من وضع البصريين — وأشهر هذه المؤلفات كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي

المتوفى سنة ٣٧٧ — والمفصل للزحشرى المتوفى سنة ٥٣٨ والكافية والشافية لابن الحاجب المتوفى سنة ٤٩٣ هـ — وألفية ابن معيط المتوفى سنة ٦٢٨ هـ والتي وضع ابن مالك الاندلسي الفيته المعروفة على مثالها

ج - البلاغة :

في العصر الأول وضعت نواة هذا الفن فألف أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (١) مجاز القرآن في علم البيان . رهو أول مؤلف في هذا الفن — وقد كتب الجاحظ في البيان والتبيين والمبرد في الكامل فصولا من علم المعاني — ووضع ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ سبعة عشر بابا سماها علم البديع .
أمّا في العصر الثاني فقد كثرت المصنفات وتعدد المؤلفون وتميزت أبواب هذا العلم ، ونمت فروعه واكتملت أبحاثه

وأول الكتب التي ألفت في هذا العصر الصناعتين لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وما زالت هذه العلوم تحبوا إلى الأمام حتى جاء سيد البلغاء وامام الفصحاء عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فألف كتابيه دلائل الاعجاز في المعاني ، وأسرار البلاغة في البيان — وفي ضوء هذين الكتابين ألف أبو يعقوب السكاكي كتابه مفتاح العلوم وظلت هذه الكتب الثلاثة ولا تزال إلى اليوم عماد المؤلفين ومرجع المصنفين في هذه العلوم — وإن كان لمن جاء بعدهم فضل فهو فضل التوضيح والتنسيق ، والشرح والتعليق وفي عصرنا الحاضر وضعت في هذه العلوم مؤلفات كثيرة سهلة المأخذ معبّدة السبيل من أشهرها (علوم البلاغة) للشيخ أحمد المراغي - (والبلاغة الواضحة) للاستاذين الجارم بك ومصطفى امين (والمرشد في علوم البلاغة) للدهشان . وزميله

(١) في كثير من كتب البلاغة سنة ٢١١ هـ

٣ - التاريخ

٣ - كان من أشهر المؤرخين في العصر العباسي الأول ابن جرير الطبري — فلما جاء العصر الثاني وانقسمت الدولة العباسية على ما عرفت كان لهذا الانقسام أثر كبير في رقي التأليف في التاريخ وانتشاره - وقد أصبح من أول ما تفكر فيه كل دولة كتابة تاريخها وتسجيل أيامها ووقائعها فكتب المؤلفون في التاريخ أخبارا وأبحاثا مجردة من الأسانيد على عكس ما كان يفعل ابن جرير الطبري

وأشهر السكتب التي ألقت في التاريخ لهذا العهد اليمنى الذي ألفه العتبي للسلطان محمود الغزنوي

وللمسعود المتوفى سنة ٣٤٦ هـ كتب واسعة في التاريخ العام ضاع أكثرها ولم يبق منها غير مروج الذهب ، والتنبية والاشراف — ويعتبر من أشهر مؤلفات هذا العصر في التاريخ تجارب الأمم لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ والكامل لابن الاثير — وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى — وأخبار ولاية مصر وقضاتها لأبى عمر الاسكندرى المتوفى سنة ٣٥٥ ، وخطط مصر للقضاى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ والمتين في تاريخ الأندلس — والمنتظم لابن الجوزى المتوفى سنة ٦١٩ هـ والبرق الشامى للعماد الاصفهانى وقد مر بك تاريخه

٤ - علم الجغرافيا

هذا العلم قوامه الأسفار والرحلات والمشاهدات وقد كان العرب في العصر الأول كثيرى الحلّ قليلي السفر والترحال أما في العصر الثاني فقد كثرت الأسفار وتعددت الرحلات وساح العلماء في نواحي

الكرة الأرضية ورأوا ما لم يروا ووقفوا على ما لم يقفوا عليه من قبل فرسموا
المصورات ووضعوا عليها الأماكن في ضبط وإتقان وصنفوا مؤلفات
موضعية تناولت أجزاء من الكرة الأرضية وأشهر مؤلفات هذا العهد
الممالك للأصطخري

وقد رسم فيه جميع الممالك المعروفة في عصره ببسها واماها — ثم (أحسن
التقاسيم في معرفة أخبار الأقاليم للمقدسين المتوفى سنة ٣٧٥ وكان مزيّنا بالألوان
ثم نزّهة المشتاق للشريف الإدريسي وقد انتظم تسعة وستين مصورا ،
اشتملت في مجموعها على تجارة الأمم وصناعاتها في القرون الوسطى
وكذلك يعتبر من أشهر كتب الجغرافيا معجم البلدان لياقوت الحموي
وهو مرتب على حسب حروف الهجاء والافادة والاعتبار في وصف آثار
مصر لعبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩

٥ - الفلسفة

نقلت الفلسفة فيما نقل من العلوم إلى العربية في العصر الأول غير أنها
ظلت كما ظلت كثير من العلوم مضطربة الأبحاث محتلطة بغيرها من العلوم
ولم تخلص مباحثها إلا في هذا العصر حيث تناولها المؤلفون بالتهذيب
والتحصيل وتعمقوا في أبحاثها وزادوا عليها وعلقوا وشرحوا فتم نمو هذا العلم
وظهرت آثاره واضحة فيما دون من العلوم الإسلامية إذ ذاك حيث امتزجت
بفلسفة أرسطو وأفلاطون واتجهت عناية المؤلفين إلى التوفيق بينهما
وألّفوا في ذلك كتباً كثيرة

ومن أشهر مؤلفات هذا العلم رسائل إخوان الصفاء وفيها امتزجت الفلسفة

بالدين ثم احصاء العلوم للفارابي وقد تناول فيه فلسفة أرسطو وأفلاطون —
ثم الشفا والانصاف والهداية والقانون لابن سينا
وكلها تشرح الفلسفة اليونانية ولا سيما فلسفة أرسطو وأفلاطون كما تقدم
وفي تفسير الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ جانب كبير من الفلسفة قد
لا تجده في تفسير آخر

٦ - النقد

هذا العلم الرفيع لقاحه الذكاء وصفاء القريحة ، وملاكه الجرأة والشجاعة
وقد عرفت من تاريخ العرب أن هذه الصفات قد لازمتهم من يوم نشأتهم
في جزيرتهم إلى أن ضعفت دولتهم واضمحل سلطانهم فكان طبعياً أن
يستأثروا بهذا الفن ويتميزوا به ، لولا أن أكثر العلماء والشعراء في الدولة
الأموية والعباسية الأولى كانوا من الموالى الذين لا هم لهم إلا إرضاء
الملوك واجتناب ما يعارض رغباتهم حرصاً على مكانتهم عندهم ، ولذلك
غبر العرب إلى القرن الرابع لا يعرفون من هذا العلم إلا القليل
وكل ما أثر عنهم في ذلك آيات في الحكم والأمثال أرسلوها لنصح ملك
ظالم أو ترغيباً في فضيلة مهيضة أو تنفيراً من رذيلة شائعة

أما في العصر الثاني وقد انقسمت الدولة وعز الشعر واشتدت الحاجة
إلى الشعراء — بدأ هؤلاء ينظمون القصائد في نقد المجتمع ونظامه
وأول صوت قرع الأسماع في جرأة وعدم مبالاة كان صوت المعري
الذي يقول

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً ونحن بعدهم في الأرض قطّان
إن العراق وإن الشام مذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان

ساس الأنام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان
ولهذا حقد عليه معاصروه واتهموه بالزندقة والاحاد وأخرجوه من
حظيرة الشعراء

ذلك هو علم النقد الاجتماعي كما يفهمه الافرنج اليوم والذي يبحث في نظام
المجتمع وحياته والأفراد وصلتهم به وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات
فاما النقد الأدبي ونعني به نقد الشعر والنثر فقد نشأ عليه العرب
وحذقوه منذ نعومة أظفارهم

وهذا هو النابغة الذبياني في الجاهلية كانت تنصب له في عكاظ قبة عالية
يحتكم اليه فيها شعراء القبائل — وتلك هي سكيكة بنت الحسين في العصر
الأموي كانت مجالسها بالمدينة أشبه بدار الندوة اليوم في النقد والتمحيص
وقد ألفت فيه كتب كثيرة من أقدمها طبقات الشعراء لابن سلام الجحى
المتوفى سنة ٢٣٢ هـ — والشعراء والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ
ونقد الشعر لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ —

ولما جاء العصر الذي نحن بصددده كثرت المؤلفات في نقد الشعر
والموازنة بين الشعراء — وظهرت في ذلك كتب قيمة كان من أشهرها
الموازنة — والوساطة وقيمة الدهر — وقد أسلفنا الكلام على كل منها :

* * *

ولعلك تستبين من مختلف الابحاث التي سقناها إليك أن هذا العصر
وإن كان شرا ويلا على الخلافة العباسية من حيث ضعفها وانقسامها ،
فانه كان خيرا وبركة على العلم والعلماء ، كما كان سعادة ورخاء على الكتاب
والشعراء ، والحمد لله والشاء

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧ — ٥	لمحة في الحياة الإسلامية من الوجهة السياسية
٩ — ٧	نشوء الأوطان المستقلة
١٢ — ٩	حال الأدب بإيجاز في العراق ، وفارس ، وخراسان ، ومصر ، والشام
١٣ — ١٢	الشعر واستفادته من الجهود العلمية التي بذلت في العصر العباسي الأول
١٥ — ١٣	الآغراض الجديدة في الشعر
١٦ — ١٥	تأثر الشعر بالصناعة اللفظية في العراق وفارس وخراسان
٢٣ — ١٧	ترجمة الشريف الرضي — مثل من شعره
٢٧ — ٢٣	مثل من شعر ميهار الديلمي — والسري الرفاء — وأبي الفتح البستي
٢٩ — ٢٨	تأثر الشعر بالصناعة اللفظية في مصر والشام
٤٤ — ٣٠	ترجمة المتنبى — مثل من شعره
٥٢ — ٤٥	مثل من شعر أبي العلاء المعري — ونعيم ابن المعز ، وابن الفارض ، والبهاء زهير
٥٩ — ٥٣	الكتابة — ابن العميد — والقاضي الفاضل وطريقة كل منهما في الشرق — وتأثر الكتاب بها —
٦٤ — ٦٠	صور من انشاء — ابن العميد — القاضي للفاضل — والعماد الاصبهاني
٦٨ — ٦٥	المقامات — أشهر رجالها (بديع الزمان الهمزاني — الحريري) مختار من المقامة العلمية لبديع الزمان
٦٨	مختار من المقامة الاسكندرية للحريري
٧٢ — ٦٩	التأليف — نهضته — أسباب رقيه
٧٥ — ٧٣	العلوم التي تناولها التأليف وأشهر المؤلفات في هذا العصر
٨٤ — ٧٥	

استدراك

اقرأ في عنوان صفحة ١٢ استفادته من الجهود العلمية التي بذلت في العصر العباسي

وفي	سطر	١٢	من	صفحة	٢٦	البديعية
»	»	٦	»	»	٢٨	تشبه
»	»	١٢	»	»	٣٥	نتيجة لطول
»	»	١٤	»	»	٣٩	أبي العشار
»	»	٣	»	»	٤٤	بذة
»	»	٣	»	»	٥٣	تصرم عمر القرنين
»	»	٧	»	»	٧٤	إليهم المؤلفون
»	»	٦	»	»	٨٢	للقديسي
»	»	٦	»	»	٨٤	والشعر والشعراء

واقرأ الكلمات الآتية من مقامات الحريري صفحة ٦٩ كذلك

أقبحم — والاختطار — قاضية — ويستخلص — مراضية

وفي الصفحات الآتية هنات أخرى من السهل إدراكها

٣٢ ، ٣٤ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٨٠ ، ٨١